دراسة في

حركات التبشير والتنصير

بمنطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء



د. الهادى الدالي   د. عمار هلال

الدار المصرية اللبنانية

دراسة في حركات التبشير والتنصير

بمنطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء

الدار المصرية اللبنانية

16 عبد الخالق ثروت . ص . ب 2022 برقيا دار شادو . القاهـرة . ت : 3923525 - 3936743 . فاكس : 3909618

رقم الإيداع : 2826 / 2001

الترقيم الدولي : 977 - 270 - 653 - 9

تجهيزات فنية : الإسـراء ت : 3143632

طبع : أمـون ت : 7944356 - 7944517

الطبعة الأولى : شوال 1422 هـ يناير 2002 م

دراسة في حركات التبشير والتنصير

بمنطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء

إعداد

د. الهادي الدالي

د. عمار هلال

الدار المصرية اللبنانية


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلى كل إفريقي حر مناضل يتوق إلى غد أفضل..

إلى كل إفريقي تجري إفريقيا في دمه وتصاحبه في يقظته ومنامه..

نهدي هذا العمل.

مقدمة

شد اهتمامي منذ سنوات عندما كنت أُحضّر لدرجة الماجستير حول العلاقات العربية الإفريقية، قضية الإسلام واللغة العربية، وحركات التبشير في غرب إفريقيا التي تشهدها المنطقة، فمكنتني الظروف من زيارة بعض مناطق غرب إفريقيا، منها: تنبكت، وجاو، وأروان، وجني، وأقدز، وطاو وغيرها من المناطق التى تتنافس عليها حركات التبشير ورأيت الحركات التبشيرية تجوب هذه المناطق طولا وعرضا، تحت اسم الإغاثة من الجفاف، ولكن في الحقيقة كان هدفها الأول محاربة الإسلام واللغة العربية، ومحاولة تقليصها بتمسيح المنطقة ومسخ الشخصية الإفريقية المسلمة، وهدم المساجد، وبناء الكنائس. والشيء الذي أثر في نفسي كثيرا أن من يدخل المسيحية من أبناء إفريقيا توضع له إشارة الصليب على جبهته وكتفه الأيمن.

وموقف الكنيسة الكاثوليكية من انتشار اللغة العربية والدين الإسلامي في غرب إفريقيا موقف عدائي منذ القدم، وهذا التقرير الذي نورده مثال على العداء المستمر للغة العربية والإسلام، ما بعث به السيد باريبي المسئول للبعثات التبشيرية في السنغال بتاريخ 1856/5/29 إلى السيد مايسترو مدير المستعمرات الفرنسية.

ويؤكد السيد باريبي في هذا التقرير على استعمال وسائل جديدة للقضاء على المساجد، والمحاكم الإسلامية، وعرقلة فكرة تثقيف الشبيبة الإسلامية ثقافة عربية إسلامية، بل الوقوف ضد هذه الفكرة والقضاء عليها نهائيا. كما يقترح على وزير المستعمرات الفرنسية طرد أحد معلمي الكتاتيب القرآنية من السنغال؛ وتقليص

الأماكن التي تدرس فيها اللغة العربية من السنغال عامة ومدينة سان لويس خاصة.

ويعتبر السيد باريبي أحد معلمي الكتاتيب مصدرا من مصادر المشاغبة والبلبلة في مدينة سان لويس، وعائقا كبيرا أمام انتشار الحضارة الغربية في السنغال.

ويمثل هذا التقرير جزءا من مئات التقارير التي تواجه بها القوى الاستعمارية انتشار اللغة العربية والإسلام في غرب إفريقيا، فياله من قدر صار فيه الحفاة العراة يتطاولون على بناة الحضارة العربية الإسلامية الخالدة.

والمتتبع للموضوع سيدرك بسهولة أن قضية طرح الثقافة العربية في إفريقيا الغربية ماضيا وحاضرا ومستقبلا لا تطرح جزافا، ولا بمعزل عن قضايا الساعة والتطورات السياسية التي شهدتها القارة الإفريقية، وبالأخص منها التيارات المتطرفة التي يتعرض لها العالم العربي، ومحاولة تفتيته وتشتيته من قبل الإمبريالية الأوروبية، لا لسبب إلا للحفاظ على مصالحها المادية والامتيازات التي منحتها لنفسها، في غياب الطرف العربي الذي هو أحق وأولى بها منها، ولا يضيع حق طالما هناك مطالب به.

وكتابنا هذا لا يندرج في سياق آخر غير هذا السياق هذا من جهة، ومن جهة أخرى: إن طلابنا في الجامعات العربية، وخاصة منهم الذين يدرسون تدريجيا في مراحل العلوم التاريخية حتى الليسانس لا يجدون مراجع خاصة بإفريقيا سوى تلك التي نشرت من قبل، والتي لايتطابق محتواها العلمي وبرامجنا الجامعية.

والموضوع في حد ذاته يحاول أن يتطرق إلى توطيد ركائز الإسلام ولغته العربية في غرب إفريقيا، منذ زمن بعيد، مبينا علاقة الأفارقة بالدين الإسلامي واللغة العربية. ومما تجدر ملاحظته أن الأفارقة المسلمين لا يفرقون بين الدين الإسلامي، واللغة العربية، والثقافة العربية الإسلامية، فهذه العوامل بالنسبة لهم متكاملة ولا تتجزأ.

ومن جهة أخرى يحاول الموضوع أن يتطرق إلى المسخ الذي تعرضت له

الثقافة العربية بصفة عامة، واللغة العربية خاصة في إفريقيا الغربية بفعل الاحتلال الفرنسي.

وقد شرع الفرنسيون في طرد لغتنا من إفريقيا منذ سنة 1911، وذلك بصدور قرار الحاكم العام الفرنسي لإفريقيا الغربية، أي ما كان يعرف سابقا بالمستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا (L.A.O.F)، فقد منع هذا القرار استعمال اللغة العربية في المحاكم الإسلامية في المنطقة، وتحويل المحاكم الإسلامية إلى محاكم فرنسية، وطرد القضاة المسلمين منها، وتعويضهم بقضاة فرنسيين، وخلال خمسين سنة أو أقل استطاع الفرنسيون في غرب إفريقيا أن يكوّنوا نخبة إفريقيا موالية لهم: فكرا ولغة وثقافة ودينا بإيجادهم مدرسة فرنسية قوية في المنطقة مدعمة بالبعثات التبشيرية، التي كثيرا ما عمدت إلى تنصير الأفارقة بالقوة.

وما تناولنا تطور اللغة العربية في غرب إفريقيا إلا صرخة قوية، نريد بها جذب انتباه أهل الحل والعقد إلى الوضعية المتدهورة التي تعيشها لغة القرآن الكريم في إفريقيا، بين التجمعات الإسلامية، كما نتمنى النهوض باللغة العربية وتعليمها وإتقانها على الوجه الأكمل. وإذا كان بعض الطلبة الأفارقة الميسورين أو المحظوظين يستطيعون الانتقال من بلدانهم الأصلية إلى الجامعات العربية لدراسة هذه اللغة، فهناك أفراد بل أعداد كثيرة ليست لهم نفس الوضعية، ولا يملكون الإمكانيات الضرورية لشد رحالهم إلى الجامعات العربية لتعلم هذه اللغة والتمكن منها. فبدلا من أن يذهب الطلاب الأفارقة بعيدا عن ديارهم لتعلم اللغة العربية علينا أن نفكر في الوسائل والطرق، وكل الحلول الإيجابية التي تساعد في نقل اللغة العربية إليهم.

وإذا علمنا أن الطلاب المسلمين الأفارقة لايزالون في وقتنا هذا ينتقلون إلى الجامعات الأوروبية لا ليدرسوا بلغات هذه الجامعات وإنما ليدرسوا اللغة العربية هناك، لعرفنا مدى تعطش هؤلاء للغة العربية ومدى تعلقهم بدراستها وتعليمها.

د. الهادي المبروك الدالي

2000 - 9 - 9

الفصل الاول

تطور لغة القرآن الكريم فى غرب إفريقيا

1 - مكانة اللغة العربية في السودان الغربي
2 - انتشار اللغة العربية في السودان الغربي
3 - مكانة التعليم العربي في بعض مناطق غرب إفريقيا
4 - التعليم القرآني ودوره في المحافظة على الدين والثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا
5 - المعلمون ومكانتهم الاجتماعية والثقافية
6 - التعليم العربى الحر ودوره في دعم الدين والثقافة العربية في غرب إفريقيا
7 - برامج التعليم التقليدي ومراحله
8 - تطور اللغة العربية في غرب إفريقيا الغربية سنتى 1907 - 1909

1- مكانة اللغة العربية في السودان الغربي:

يذهب المؤرخ الفرنسي ألفونس غوي إلى أن الإسلام هو الذي فتح باب التاريخ لإفريقيا. أما قبل الفتح الإسلامى فتاريخ إفريقيا لم يتعد قط عن ضفاف البحر الأبيض المتوسط، والأحداث التى تعرضت لها القارة لم يصل صداها إلى العالم الخارجى إلا بعد الفتح الإسلامي[1].

والحقيقة أنه قبل الأبحاث الأثرية الحديثة التي بدأت منذ حوالى 20 سنة لايكاد يكون هناك لتاريخ إفريقيا من مصادر معروفة غير المصادر العربية. فكتابات البكري[2] والإدريسي[3] وابن حوقل[4]، وابن بطوطة[5] وابن خلدون[6] والحسن الوزان[7] وغيرهم ظلت كتبهم إلى وقت قريب تحتل الصدارة وحدها فى هذا المجال، ولا زالت تحافظ على قيمتها التاريخية حتى وقتنا الراهن. وقد ساهم

(1) Alphonse Gouilly: L:Islam Dasn L'A.O.F. Paris- 1952 pp 45-46.

(2) البكري أبو عبد الله: توفي في قرطبة 1094م ـ المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ـ بغداد مكتبة المثنى.

(3) الإدريسي أبو عبد الله بن محمد: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ـ ليدن 1866.

(4) ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي: توفي نحو 977م ـ صورة الأرض (المسالك والممالك) مكتبة الحياة ـ بيروت ط/ 2 بدون تاريخ.

(5) ابن بطوطة: (1304-1378م) - رحلة ابن بطوطة بيروت 1964 (701ص).

(6) ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ـ المجلد الأول ط/2- بيروت 1961 (1.169ص) ـ المجلد السادس ـ دار الكتاب اللبناني 1959 (1094ص).

(7) Leon L, africain Jean: Description de l' afrique tiorce Partie du Monde - Paris 1896 - 3 V. (T.I 378pp T.II. 482 PP T. III. 468PP).

هؤلاء الرحالة العرب بإعطاء معلومات وافرة عن تاريخ إفريقيا الغربية السوداء، وذلك ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي.

ومنذ القرن الرابع عشر الميلادي أضيف للمصادر العربية السابقة الذكر ما كتبه العلماء السودانيون أمثال: القاضي محمود كعت[1] وعبد الرحمن السعدي[2]، وذلك إلى جانب المصادر الأوربية وخاصة التي كتبها الرحالة والرواد الأوائل، منهم: كادا موستو[3]* ودولاس وغيرهما[4].

أما بعد الحرب العالمية الثانية فنشطت الأبحاث الأثرية، وظهر بواسطتها عامل جديد في مصادر تاريخ إفريقيا الغربية.

وفي الحقيقة تعود الحفريات الأثرية الأولى في إفريقيا الغربية إلى سنتي 1911-1913 والتي قام بها السيد بونال دوميزيار[5]، ثم قام السيد لازارتيق بحفريات أثرية مشابهة للأولى في المنطقة سنة 1939، ثم قام السيد توماساي[6] بحفريات أثرية في موريتانيا بين سنتي 1949-1951 ،واكتشف خلال السنة الأخيرة مدينة وكومبي صالح، ثم قام السيدان موني وسيموسكي هما الآخران بحفريات أثرية في المنطقة.

كما اكتشف السيد جان دوفيس في سنة 1960 مدينة تغداوست. وأثبتت الشواهد المادية تشابها كبيرا بين المدينة الأخيرة وكومبي صالح، وذلك من حيث

---

(1) القاضي محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ـ باريس ـ 1964.

(2) الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي (1596-1056) تاريخ السودان الحي 1898(323ص).

(3) Da Da Mosto.

(4) Delafosse M.: Traces Brorables De Civilisation Egyptienne Et D'Hommes De Race Blanche A La Cote D'Ivoire- Paris- 1900 (690PP).

(5) A. Bonnel De Mezieres: Rechercae Sur L'empl Cemmnt De Ghana et De Tfkaour- Paris- 1920 (283PP).

(6) Thomassey P.: Note Sur la Geographie et l'habitat De Le Region De Koumbi Salah- Ifan- 1951- (462PP).

الهندسة والصناعات التقليدية. ويبدو أن المدينتين متعاصرتان. وتكمن أهمية حفريات تغداوست في أنها تعطينا معلومات أثرية مهمة عن الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع والثالث عشر الميلاديين[1]. وعرفت خلال الفترة المذكورة الحضارة العربية من جهة والحضارة الزنجية من جهة أخرى تلاحمًا ملحوظًا[2].

إذن يرجع التقاء الحضارتين العربية والزنجية إلى القرن السابع الميلادي. وقد أثرت الحضارة الأولى في الثانية، تأثيرا ملحوظا في جميع المستويات. وهو الشيء الذي ساعد على انتشار اللغة العربية في إفريقيا الغربية منذ أوائل القرن السابع الميلادي[3]. وتطور انتشارها خلال القرون التي تلت.

والسؤال الذى يطرح نفسه هو: لماذا لم تصمد اللغة العربية فى إفريقيا الغربية السوداء أمام التيارات المضادة لها، شأنها شأن إفريقيا الشمالية على سبيل المثال؟

إن وضع الاستعمار وحده لا يمكن أن يكون كافيا لتبرير اضمحلال اللغة العربية فى إفريقيا الغربية، وإن كان من أهم العوامل التى ساعدت على إضعافها وتدهورها في المنطقة.

وشمال إفريقيا تعرض للاستعمار بنوعيه، القديم والجديد، ولكن هذا لم يكن سببًا في سلخه عن الأمة العربية الذي هو جزء لا يتجزأ منها. ولا ننكر أن اللغة العربية خاصةً والثقافة العربية عامةً شهدت نوعا من التدهور الحضاري والفكري منذ ما قبل الفترة الاستعمارية وبدون شك ازداد خلال هذه الفترة، غير أن شمال إفريقيا بقي وفيا لاستعادة مقوماته الشخصية والثقافية، وذلك منذ استعادة استقلاله السياسي. وعلى العكس من ذلك سادت اللغة الفرنسية والإنكليزية إفريقيا السوداء، ونشأت ارتباطات بينها وبين أهل البلاد على جميع المستويات، منها الحضارية والفكرية والدينية؛ علمًا بأن اللغة العربية سادت في إفريقيا الغربية

(1) J. Devisse et S. Robert: Taoudagoust. T. 1 Recherc E sur Taoudagoust Paris- 1970.

(2) R.mauncy: Les Siecles obsours de L'afrique noire Paris- 1970-PP 147 a 153.

(3) رايمون موني: المرجع نفسه.

قبل الفترة الاستعمارية بقرون كثيرة، وألّف الكثير من الأفارقة في شتى الميادين بهذه اللغة[1]، وقد أثنى بعض المؤلفين الغربيين الذين اهتموا بدراسة هذا الجانب من حياة الأفارقة على إنتاج الأفارقة باللغة العربية[2] واعتبروه لا يفترق ولا يختلف في شيء عن نتاج العرب أنفسهم.

احتلت اللغة العربية مكانة مرموقة بين الزنوج الأفارقة وذلك منذ أزمنة بعيدة؛ وتنافس المثقفون الأفارقة لاكتساب مختلف المعارف بهذه اللغة[3]. وفي الحقيقة فإن اللغة العربية هي المحرك الأساسي بعد الدين الإسلامي للمرابطين وأصحاب الطرق الصوفيه: الذين ساد بينهم تنافس شديد في التمكن من اللغة العربية من جهة، وفي نشرها بين الجماهير الشعبية من جهة أخرى[4]*.

وهناك عدد هائل من الموظفين الزنوج في الإدارة الفرنسية، والذين تثقفوا ثقافة فرنسية بحتة، وعادو إلى الكتاتيب القرآنية قصد إعادة تربيتهم الدينية. ومهما بحثنا في أوساط المجتمعات في إفريقيا الغربية لانجد عندها أدنى رغبة في التوجّه إلى الثقافة الغربية[5].

ولعب الأفارقة الذين تخرجوا من الأزهر دوراً هامًا في نشر اللغة العربية بين

---

(1) Annuaire de la Societe Archeo. de la Province de Cno 1853-54 P- 1à48.

(2) «نشر السيد شاربونو (Charboneau) مقالا عن الثقافة العربية في السودان استنادا إلى كتاب تكملة الدباج لأحمد باب التمبوكتي في المرجع المذكور أعلاه. وأبدى السيد شاربونو دهشته وإعجابه بالثقافة العربية في السودان ويذكر ما يقرب من 17 عالمًا عاشوا بين القرنين الثالث عشر والسادس عشر الميلاديين، تعلم جلهم في مكة أو المدينة أو القاهرة. وينوه صاحب المقال بالمستوى الثقافي العالي الذى يتم به هؤلاء العلماء، مشيرا في نفس الوقت إلى الخدمات الثقافية التي يقدمونها للحضارة العربية الإسلامية في المنطقة. ويعطي السيد شاربونو نماذج مخطوطة عن مؤلفاتهم، وهي فى أحسن الروعة الأدبية والدقة اللغوية والذوق الفنى».

(3) درس بيفار واسكيت الأدب العربي في نيجيريا وذلك حتى سنة 1804. وذكر المؤلفان عدة أفارقة اشتهروا بإنتاجهم الأدبي وذلك مثل البلعلي ودان مرينا ودان مسانبح وجبريل دغادبس، وغيرهم من السودانيين الذين اشتهروا في ميدان الأدب العربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي. (Nigeria Macazine N. 68 Decembre 1961 p.85).

(4) Marcel Cardaire: L'isian et le territoire Af. Paris 1954 P. 115.

(5) مارسيل كردير: نفس المرجع السابق ص 115.

الجماهير، وقد خُصِّصَ لهم في مصر بجامعة الأزهر رواق كان يعرف برواق التكرور[1].

وفي مدينة سيغو أنشأ أحد الشبان المتخرجين من الأزهر مدرسة، كان يذهب إليها ما يقرب من 125 تلميذًا، وبعد بضع سنوات دُهش الفرنسيون عندما سمعوا بعض الشباب يتكلمون اللغة العربية في إحدى طرقات حي ماجندى بسيغو[2].

إن جلّ الباحثين الأوروبيين[3] والعرب[4] على السواء يتفقون على الرغبة الملحة التي يمتاز بها الأفارقة لتعلم اللغة العربية؛ وبالتالي إلى الانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية التي عرفوها منذ أزمنة بعيدة.

ويبدو أن الاستعمار الأوربي الذي تعرضت له إفريقيا الغربية وخاصة الفترة الاستعمارية الفرنسية، كان من بين العوامل الهامة التي حالت دون تطور وانتشار اللغة العربية في المنطقة. وحَمَل الاستعمار إلى البلاد معه مظهرين في أشد الخطورة، يعتبران مظهران استعماريان أساسًا، وهما: اللغات الأوروبية والديانة المسيحية. ولم يدخر الاستعمار الأوروبي جهدًا لتدعيم ركائزهما في المنطقة[5].

وقد لجح الاستعمار الأورربي فعلاً بواسطة اللغة الفرنسية والديانة المسيحية، في تكوين نخبة متأثرة أشد التأثر بالحضارة الغربية. ولم يسمح الاستعمار الفرنسي فى إفريقيا الغربية إلا بحجم ضئيل من الثقافة حسب أهدافه الاستعمارية.

ووقفت الإدارة الفرنسية موقفًا مناوئًا من اللغة العربية في إفريقيا الغربية[6]،

---

(1) د/ عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين الجزائر 1971 ص 146.

(2) مارسيل كاردير: المرجع نفسه ص 120.

(3) انظر مارسيل كاردير ص 121 - ف. مانتوي ص 222 - مونتوزير ص 39/38.

(4) د/ عبد القادر زبادية ص 146 - نعيم قداح ص 205.

(5) د/ عبد الحليم عويس ـ المسلمون في إفريقيا ـ مجلة الأصالة عدد 43/42 ص 60.

(6) ARCHIVES: Sectioon d'outr Mer Paris Dossier Sedgal no 10.

ولم تخلُ عقلية ضباطها العسكريين الذين شاركوا في احتلال المنطقة من الروح الصليبية[1]. وفي عهد الجمهورية الثالثة وقف الساسة والإداريون موقفًا مناهضًا أمام فكرة تثقيف الشبيبة الإفريقية ثقافة إسلامية، الشيء الذي أدّى إلى الحيلولة دون تطبيقها[2].

واتخذت الإدارة الفرنسية إجراءات صارمة لنشر لغتها في إفريقيا الغربية؛ من ذلك إبعاد كل منافس لها[3]، واقتصرت الوظائف في إدارتها على الأفارقة المتعلمين بلغتها دون سواهم[4]، وهنا ظهر بعض التراجع من قبل المثقفين باللغة العربية خاصة في توجيه أبنائهم إلى تعلم اللغة الفرنسية، وإن لم يهملوا بشكل تام اللغة العربية[5]. وذلك حتى فترة زمنية محددة.

ويبدو أن أسباب اهتمام الأفارقة عامةً في المستعمرات الفرنسية وإفريقيا الغربية خاصة باللغة الفرنسية على حساب اللغة العربية، راجعٌ أساسًا إلى فرض اللغة الأولى من قبل أصحابها على أهل البلاد[6]، فضلاً عن أن هؤلاء نظروا إلى اللغة الفرنسية نظرة مادية، ذلك لأنها كانت تضمن وظيفة لمتعلمها.

ألم تكن اللغة الفرنسية في كافة مستعمرات فرنسا لغة الخبز؟!

ويذهب السيد تونبي المؤرخ الإنكليزي الشهير إلى القول بأن هناك لتلاقي الحضارات الإنسانية القوانين التالية:

(1) الخصائص الفردية للثقافة الأجنبية أكثر قبولاً من الثقافة في مجموعها.

---

(1) الفونس غوي: ص 186.

(2) ARCHIVES: S. O. M. PART, DOSSIER SENEGAL No 10.

(3) انظر قرار الحاكم مانتيفير الذي أصدره سنة 1896، والذي ينص على غلق الكتاب خلال الساعات التي تفتح فيها المدارس الفرنسية أبوابها.

(4) G. NARDY: Une Conquete Eorale l'Ens. en A.O.F. PARIS 1957 p. 89.

(5) م. كاردير: ص 115 «إن هدف جل الأولياء من إرسال أبنائهم إلى الكتاب هدف ديني أكثر منه ثقافي...».

(6) انظر قرار الحاكم جوبير الذي أصدره عام 1870، والذي ينص على إجبارية تعلم اللغة الفرنسية في إفريقيا الغربية.

(2) العامل الثقافي المغترب في بلد ما، وغير المرغوب فيه يحدث كوارث في الأجسام الثقافية الغريبة عنه التي يلتقي بها، لأنه عامل غريب ومبتور من جذوره بالنسبة للحضارة المستعيرة.

(3) قوة النفاذ لأي إشعاع ثقافي تكون على نسبة عكسية للقيمة الثقافية لذلك الإشعاع.

(4) إذا تقبلت حضارة ما، أي عامل من العوامل الثقافية الدخيلة عليها، ولو كان بسيطًا، فهذا الأخير يَجُر وراءه العوامل الأخرى.. وهكذا تهاجم الخلية الاجتماعية بدون هوادة من قبل العوامل الأخرى الواحد تلو الآخر. وانهزام الحضارة المستعيرة، وخضوعها للحضارة الدخيلة يبقى أمرًا معتمًا.

(5) قبول عنصر من ثقافة ما أجنبية سيجر وراءه سائرها، وهذا العنصر المفرد أكثر إزعاجا للحضارة المستعيرة مما لو تبنت الثقافة الأجنبية كلها[1].

2- انتشار اللغة العربية :

إن العامل الديني وحدهُ ليس كافيًا في تعليل انتشار اللغة العربية في إفريقيا؛ بل هذا الانتشار يمكن تعليله بعوامل كثيرة متضافرة ومتشابكة يكمل بعضها البعض.

ولعل مما ساعد على انتشار اللغة العربية فى إفريقيا هو عدم جواز ترجمة القرآن وكتابتهُ بغير اللغة العربية التي نزل بها، فضلاً عن عدم جواز القراءة بغير اللغة العربية في الصلاة. وبالتالي كان على كل إفريقي دخل الإسلام أن يتعلم ويحفظ من القرآن ما يخوّل له أداء صلاته. كما يعلل بعض الباحثين انتشار اللغة العربية في إفريقيا بالقرابة التي توجد بينها وبين اللغات السامية الأخرى؛ وذلك في كثير من المظاهر الصوتية واللفظية والنحوية. فضلاً عن أن هناك إجماع بين

(1) Arnold Toynbee: L'histoire- Bruxelles 19775 p. 413.

علماء اللغات على التشابه الموجود بين اللغات السامية واللغات الحامية، ومثال ذلك: التشابه الموجود بين اللغات السامية والقبطية، مثلاً في الضمائر وأسماء الأعداد والتثنية وقواعد الصرف والأصوات الساكنة[1].

أما العامل الحضاري فقد لعب دوراً رئيسياً في نشر اللغة العربية في إفريقيا؛ وذلك لأن العلماء مجمعون على أنه إذا التقت لغة ذات تراث حضاري راقٍ مع لغة أخرى حظها من ذلك التراث أقل، يؤدي هذا الأمر بدون ريب إلى تغلب وتفوق اللغة الأولى[2].

ثم إن قصور اللغات المحلية في إفريقيا قبل وصول الإسلام عن استيعاب المفاهيم الحضارية المختلفة، ربما كان من بين العوامل المساعدة على فتح الطريق أمام انتشار اللغة العربية[3].

ويبدو أن ظهور الامبراطوريات الإفريقية القديمة مثل: غانا، ومالي، وسنغاي وكلهم يورنو وغيرها قد ساعد على انتشار اللغة العربية في إفريقيا[4]، بحيث اعتنى الأفارقة عناية خاصة باللغة العربية، ووفروا لها كل الوسائل منها المادية ومنها المعنوية لنشرها بين الطلبة والمتعلمين.

وكان لسان سنغاي اللغة العربية، بحيث كانت هذه لغة الثقافة والإدارة معًا. كما كان استعمالها بين الناس شائعا في السوق[5]. وربما كانت سنغاي أكثر الامبراطوريات الإسلامية الإفريقية تحمسًا للعربية ونشر تعليمها[6].

ولعل نقص اللغات المحلية الإفريقية حضاريًا، كان من بين العوامل الهامة

---

(1) د/ حسن احمد محمود: ص 51-52 .

(2) أرنولد توينبي ـ التاريخ ـ ص 413.

(3) تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان.

محمد بن عمر التونسي 1845 م. مراجعة د/ محمد مصطفى زيادة ـ القاهرة 1965 .

(4) V. MONTEUIL: L' Islam Noir en Marche-Lemonde 14-15/6/1960.

(5) د/ عبد القادر زيادة: مملكة سنغاي ص 102 .

(6) د/ عبد القادر زيادة: مملكة سنغاي ص 141 .

التي ساعدت اللغة العربية على الانتشار في المنطقة. حيث استعملت اللغات المحلية الكتابة العربية لكتابة لغاتها، وذلك مثل: الوولفية والسواحلية، والهوسة[1] وغيرها من اللغات المحلية. كما اقتبست هذه اللغات الأخيرة من اللغة العربية أعداداً هائلة من مفرداتها واستعملتها فى محادثاتها[2]. ويقول الحسن الوزان: إن الحروف الإفريقية ضاعت منذ قرون خلت وعوضها أصحابها بالكتابة العربية[3].

وجدير بالذكر أن انتشار التعليم العربي فى إفريقيا الغربية خلال العصور الحديثة، واعتناء زُعماء الإسلام بنشره على كل المستويات، كان من بين العوامل الهامة التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في المنطقة.

وتعتبر اللغة العربية بعد الدين الإسلامي الرابط الأساسي الذي يربط العالم الإسلامي ككل بما فيه إفريقيا الغربية. وبدون شك فإن اللغة العربية واللغة الإنكليزية، هما اللغتان الوحيدتان اللتان عرفتا انتشاراً لم تعرفه أي لغة أخرى في المعمورة. ونزول القرآن باللغة العربية قد زاد من أهميتها بين الجماعات الإسلامية[4].

غير أن اللغة العربية في إفريقيا الغربية تجاوزت الجانب الديني إلى المجالين الإداري والثقافي، وأصبحت لغة الإدارة والثقافة في كل المناطق التي منها الإسلام.

وفي تنبكت توطدت أركان اللغة العربية وانتشرت انتشاراً كبيراً بين الجماعات الإفريقية هناك، وكانت في غاية الدقة والإتقان[5].

وفي العصور الحديثة قام أصحاب الطرق الصوفية بدور كبير في ميدان نشر

---

(1) يقدر فانسا مونتوي مساهمة اللغة العربية في إثراء اللغة المحلية الإفريقية من حيث المحادثة بما يقرب من 50%.

(2) V. Monteuil: Lislam en Afrique noir, P.225 & 229.

(3) الحسن الوزان: ج 1 ص 91.

(4) فيلار: ص 96.

(5) د/ عبد القادر زبادية ص 141 - انظر كذلك فيدلار ص 26.

اللغة العربية والتمكين لها أكثر فأكثر في إفريقيا الغربية. فقد أسسوا المدارس وأشرفوا عليها وأنفقوا عليها، وكان التعليم لديهم مجانيًا[1].

أما في المجالين الديني والاجتماعي فقد اشتروا الرقيق وعلموهم شعائر الإسلام ومبادئه وثقفوهم ثقافة عربية إسلامية، ثم حرّروهم لنشر الدعوة الإسلامية بين ذويهم ومجتمعاتهم في شتى مناطق إفريقيا الغربية[2].

ومما لا ريب فيه أن الإسلام والحضارة العربية في السنغال قد أحدثا تغيرات جذرية في النظم الاجتماعية، والدينية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، وغيّرا النظام الحياتي لكل فرد مسلم في البلاد.

3- مكانة التعليم العربي في بعض مناطق غرب إفريقيا:

تعتبر الكتاتيب القرآنية في السنغال قاعدة التعليم التقليدى العربي، وكانت ولا تزال الدرع الواقي للحضارة الإسلامية، ووسيلة هامة لدفع عجلة التقدم الثقافي الإسلامي في المنطقة[3].

- الكتاتيب القرآنية :

وتختلف تسمية الكتاتيب القرآنية في إفريقيا الغربية باختلاف قبائلها، فعند قبائل الوولوف (OULOF) يطلق عليها اسم دارا (DARA)، وعند قبائل الموريطانيين (les Maures) يسمونها محضرة، وقبائل المندونغ تسميها كارا (KARA). وعند قبائل التكرور يطلق عليها اسم ديان جانتي (DYANJINTE)[4]. أما عند الشوسة: فيسمون معلم الكتاتيب القرآنية معالام (MALLAM). وواضح من هنا أن الكلمة تحريف لكلمة معلم، وتشير هذه الكلمة إلى المتعلمين باللغة العربية عامة، وللأشخاص الذين يعرفون قراءة وكتابة

(1) Louis RINN: Marabouts et Akhouan ALGER 1884 p. 424-418.

(2) د/ حسن احمد محمود: المرجع السابق ص 42 و 65 .

(3) J. L. MONREZER: L' Afrique et L' Islam DAKAR 1939 P. 30.

(4) الفونس غوي - الإسلام في إفريقيا الغربية ص 221-222 .

السواحلية باللغة العربية[1]. قد درس بعض المؤلفين الأوروبيين الثقافة العربية في بعض مناطق إفريقيا وأثبتوا مساهمة الأفارقة في إثراء الأدب العربي[2].

ولعبت قبائل الفلان (البول) دورا هاما في ميدان نشر الثقافة العربية في إفريقيا، وخاصة في غينيا وفي فوته جالون، وفى سنة 1912 أشار المؤرخ أرنو (ARNAU) إلى وجود حوالي 20 صوفيًا فى السنغال، بعضهم كانت في حوزته ما يقرب من 400 كتاب من أمهات الكتب باللغة العربية، وعدد الأشخاص الذين يعرفون القراءة والكتابة باللغة العربية كثيرون في منطقة فوتا جالون الوسطى بالسنغال. وأثبتت الأبحاث أنه في كل قرية يوجد بها من 5 إلى 25 شخصًا يعرفون الكتابة والقراءة باللغة العربية من قبائل التكرور، ومثلهم عدد قبائل الوولوف الذين يكتبون لغتهم المحلية بالحروف الأبجدية العربية. وقد قدر عدد الكتاتيب القرآنية في نيجيريا فى سنة 1900 بما يقرب من 25000 كتاب، وأما التلاميذ فيخدمون مزارع المعلمين، ويحفظون القرآن دون فهمه، ويتعلمون شيئًا من الكتابة. وعلى عكس ذلك فَتَحَتْ الجماعات الإسلامية مدارس عصرية أكثر تطورًا من الأولى في جنوب المنطقة. وكان بعضها قد أنشئ على السواحل من طرق العرب السوريين أو عرب إفريقيا الشمالية، ثم انتشرت هذه المدارس لتصل إلى غرب المنطقة[3].

---

(1) V. MONTEUIL: "L' Islam Noir"- Paris- 1964 p. 221.

(2) درس بيفار واسكيت (BIVAR et HISKETT) في سنة 1961 الأدب العربي في نيجيريا، وذلك حتى سنة 1804 (Négéria Magasine No 68 12/1961 p. 83). ويشير المؤلفان إلى ان أشهر كاتب معروف في ميدان الأدب العربي في المنطقة هو الرحالة الجزائري المغيلي (EL- MAGHILI) الذي توفي في سنة 1504 م. وقد الف حوالي عشرين كتابا منها كتاب واجبات الملوك (Les Ogligations des Prir) الذي نشر في بيروت سنة 1932 وترجم إلى اللغة الإنجليزية. ثم يأتي مباشرة بعد المغيلي، البلبالي (AL-BILBALI) الذي توفي حوالي سنة 1533 م. ويبدو أن هذا الأخير حفظ عن ظهر قلب كتاب صحيح البخاري، وفي القرن السابع عشر الميلادي برز من قبائل الهوسة كل من دان مريدا ودان مسانيح. وفي القرن 18 م. برز جبريل دغاديس (J. d'AGADES) الذي أقام في الشرق العربي 20 سنة، وتوفي في نهاية القرن الأخير (18).

(3) V. MONTEUIL: P. 222-225.

وقد قدر عدد التلاميذ الذين كانوا يتعلمون اللغة العربية في الكتاتيب القرآنية في بداية هذا القرن في السنغال بما يقرب من (14000) من الأطفال، منهم ثلاثمائة (300) كانوا يواصلون تعليمهم في المدارس العربية.

وهؤلاء التلاميذ يمثلون عاملاً هامًا من عوامل التقدم الاجتماعي ونشر الإسلام والتعريب في المنطقة. وعمومًا فالقبائل الإفريقية تهتم بتعليم أطفالها القرآن الكريم في سن مبكرة، ويتولى الآباء هذه المهمة قبل التحاق الأطفال الصغار بالكتاتيب[1].

وعند قبائل الموريطانيين خاصة، تتولى الأم تعليم أطفالها الصغار قبل أن يلتحق هؤلاء بالكتاتيب، فتعلمهم كيف يحسبون، وكيف يتهجون الكلمات وفي سن السادسة يلتحق الأطفال بالكتاتيب القرآنية بدون استثناء، وفي هذه المرحلة يبدأ الأطفال بتعلم القواعد اللغوية، وكيفية النطق، ومبادئ الكتابة، وحفظ القرآن الكريم. أما البنات فعادة ما ينتهي تعليمهن في سن العاشرة، وأحيانا يستمر تعليمهن الديني والقرآني داخل الخيمة. أما الأطفال فيزاولون تعليمهم عادة حتى الرابعة عشر من أعمارهم[2].

إن الثوب الذي يكتسبه الإسلام الآن في السنغال صورة عن التعليم العربي؛ ومؤثرات المعلمين والشيوخ الذين استطاعوا بإيمانهم الراسخ أن يؤثروا في الجماعات السنغالية، ولعبت القبائل دورًا هامًا في هذا الميدان مثل: قبائل التكرور، والولوف، والفلان، وسارا كولي، وقبائل ملانكي (Malanké) أو بودران (Podorans)، وغيرها. ومن شخصيات هذه القبائل كارا موكا الفا (K.M. ALFA) شيخ أجمادو، والحاج عمر، وعثمان دان فيودو، وساموري كيتا، وهؤلاء جميعا كانوا في مقدمة الزحف الإسلامي في السنغال[3]. ويعطي

(1) A. GOUILLY: P. 222.

(2) الفرنس غوي ـ نفس المرجع السابق ص 222 .

(3) Afrique et Asie No 4 1953- p. 6.

الأفارقة أهمية بالغة لحفظ القرآن الكريم[1]. وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا قصّروا في حفظه ولا ترُفع عنهم حتى يحفظوه[2].

إن رغبة تعلم العربية واضحة عند الأفارقة؛ فمن السنغال إلى الصومال يتعلمها التلاميذ في الكتاتيب القرآنية قبل سن الدراسة، ولا يتعلمون اللغة العربية من الجانب الديني فحسب، بل كذلك ليندمجوا بواسطتها في نوع من الثقافة والحضارة الراقيتين. ورغم وجود بعض المدارس العربية التى تُعْطي تعليمًا عربيًا نوعًا ما مثل مدرسة تنبكت وسيغو وغيرها. فالطلاب الأفارقة يطمحون إلى تعليم عربي أرقى بعيدًا عن ديارهم في المعاهد الكلاسيكية مثل: بوتيليميت بمرميتادنيا التي ضمت فى الخمسينيات من 200 إلى 300 طالب إفريقي قدموا إليها من جميع نواحي إفريقيا السوداء، وكانت جامعة الزيتونة تضم خلال نفس الفترة ما يقرب من أربعين (40) طالبا قدموا إليها من مالي. كما كانت تحتضن جامعة الأزهر حوالي 859 طالبا قدموا إليها من السودان، و 64 طالبا من تشاد، و 146 طالبا قدموا إليها من السنغال. وهذا الميل إلى تعلم اللغة العربية لا يقتصر على الأفارقة المسلمين، بل يتعدى ذلك ليضم الفئات الأخرى الإفريقية التي لا تدين بالإسلام[3].

أليست هذه الأرقام دليلاً قاطعًا على مدى تعلق الأفارقة باللغة العربية، وتعلمها باعتبارها عاملا حضاريا لا يتجزأ عن الحضارة الإسلامية التي ينتمون إليها؟!

---

(1) ابن بطوطة ـ رحلة ابن بطوطة ـ بيروت 1964 ـ الطبعة الحديثة ص 690.

(2) يقول ابن بطوطة في هذا الصدد مايلي: (رحلة ابن بطوطة ص 690) «.... ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون، فقلت له: ألا تسرحهم؟ فقال: لا أفعل حتى يحفظوا القرآن، ومررت يوما بشاب منهم (يقصد أهل السودان) حسن الصورة عليه ثياب فاخرة، وفي رجله قيد ثقيل، فقلت لمن كان معي: ما فعل هذا؟ أقتل؟ ففهم علي الشاب وضحك وقيل لي: إنما قيد حتى يحفظ القرآن».

(3) V. MONTEUIL: "L' Islam Noir en Marche le Monde 14/15-6/1960.

ـ تأثير ثقافة الإسلام في الثقافة المحلية:

شكلت الكتابة العربية لعدة قرون عاملاً حضاريًا مشتركًا للحضارة المحلية في السنغال، حيث استعملتها هذه الأخيرة لكتابة لغاتها المحلية، ولولا اللغة العربية لبقيت هذه اللغات، مثل: السواحلية والفلانية وغيرها، لغات شفوية لا كتابة لها. وقد ساهمت اللغة العربية في إثراء اللغات المحلية الإفريقية بنسبة 50%، وذلك في ميدان المحادثة، وساهم التعريب في نشر الحضارة الإسلامية في السنغال رغم بعض العراقيل التي اعترضت طريقه والنقائص التي اتسم بها[1].

إن للكتاتيب القرآنية في السنغال آفاقًا واسعةً من حيث أهميتها الثقافية والحضارية، وذلك عكس ما يدعيه بعض المؤلفين الغربيين[2]. وتكمن هذه الأهمية خاصة في الحفاظ على التراث العربي الإسلامي في المنطقة، فضلاً عن أنها تشكل أرضية خصبة للدخول في عالم الحضارة العربية[3] الإسلامية.

وتبدو تأثيرات اللغة العربية على اللغات المحلية في السنغال إيجابية جليّة، وبصفة إيجابية على جميع المستويات، حيث مثلّت العامل المشترك للثقافات المحلية المختلفة، وطبعتها بطابعها الخاص[4].

وبقيت إفريقيا بدون كتابة حتى مجيء العرب إلى جنوب صحرائها، ونقل العرب معهم حضارتهم إلى هذه القارة فساد الإسلام في جزء هام من البلاد، وانتشرت كتابة اللغة العربية والشريعة القرآنية، ونقل العرب إلى المنطقة بعض الفليات ونباتات الأدوية، وربطوا إفريقيا السوداء ثقافيا وسياسيا ببقية العالم الذي كانت منعزلة عنه سابقا تماما، ووجود الامبراطوريات الإفريقية القديمة، مثل:

---

(1) V. MONTEUIL: "L' Islam Noir: pp 225 à 229.

(2) G. HARDY: L'Ens. au Senegal p18- A. GOUILLY: pp 221 à 223 L. SONOLET: L" Ens. En A. O. F. (C. A. N.) Paris 1913 p. 74 à 80.

(3) Afrique et Asie - No 4 1953 P. 6.

(4) V. MONTEUIL: "L' Islam Noir p. 229.

مالي، وسنغاى والكانم ـ بدنو وحتى المتواضعة منها، مثل: سلطنة الشرق الإفريقي وغيرها مدين بالكثير إلى الحضارة العربية، وإلى التنظيم العربى والأطر المسلمة[1] التي ساعدتها على النمو والتطور.

4- التعليم القرآنى ودوره في المحافظة على الدين والثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا:

أهم مراكز الكتاتيب القرآنية :

وصل عدد الكتاتيب القرآنية في السنغال، وذلك حسب الإحصاءات الرسمية للإدارة الفرنسية في سنة 1912، إلى ما يقرب من 1.395[2]• كتابًا يدرس فيه القرآن الكريم حسب الطريقة التقليدية المعروفة التي سادت جميع الأقطار الإسلامية منذ أقدم العصور وإلى يومنا هذا، وربما كانت الكتاتيب القرآنية الوسيلة الوحيدة التي نشرت بواسطتها اللغة العربية في السنغال والتي حافظت عليها منذ عشرة قرون خلت، وأهم مراكزها هي: **دكار: (DAKAR)**.

تذكر الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية لسنة 1912 أن عدد الكتاتيب القرآنية في مدينة دكار يقدر بثلاثين (30) كتابًا، وعدد المعلمين هو نفس عدد الكتاتيب، لأن كل معلم كان يشرف بمفرده على محل واحد أو كتاب واحد. وكلهم على المذهب التيجاني، ماعدا اثنان منها فهما على المذهب القادري. أما عدد التلاميذ ذكورا وإناثا، فقد قدرته الإحصاءات السابقة بما يقرب من 673 تلميذًا، 49 منهم من يلتحقون بالمدارس الفرنسية. وفي ضواحي دكار، تقريبًا حتى الرأس الأخضر (CAP-Vert) يوجد بها حوالي 18 معلمًا، خمسة عشر (15) معلمًا على المذهب التيجاني، وثلاثة منهم ينتمون إلى المذهب القادري، وعدد تلاميذ ضواحى دكار فقد قدرته الإدارة الفرنسية خلال نفس السنة المذكورة سابقا بما يقرب من 122 تلميذا من بينهم 17 يتعلمون اللغة الفرنسية في المدارس الحكومية[3]•.

---

(1) R. MAUNY: P. 185.

(2) Archives: "A. O. M" Annexe de Paris, Rueodinot, Dossiet SENEGAL na 10.

(3) Archives: "A. O. M" Annexe de Paris: ibid.

لوقا ونواحيها (Louga) :

كان القرآن الكريم يُدرّس خلال سنة 1911 فيما يقرب من 147 كتابًا في لوقا ونواحيها. ويشرف على التعليم في هذه الكتاتيب 147 معلمًا[1].

وينقسم معلمو لوقا ونواحيها بين الطريقتين الصوفيتين المشهورتين في السنغال، فمائة وست وخمسون (156) منهم من ينتمون إلى الطريقة التيجانية وواحد وتسعون (91) منهم ينتمون إلى الطريقة القادرية. أما عدد تلاميذ لوقا ونواحيها فقد قدرته الإحصائيات الفرنسية في نهاية سنة 1912 بما يقرب من ثمانمائة وعشرين تلميذًا (820). ولا يلتحق واحد من هؤلاء التلاميذ بالمدارس الحكومية الفرنسية[2].

والملاحظ أنه حتى سنة 1912، كان هناك عدد من الدوائر وبعض المناطق في السنغال، تكاد تخلو من الأطفال المتعلمين باللغة الفرنسية، بل التعليم الفرنسي في بعض المناطق منعدم تماما، وذلك مثل دائرة لوقا التي سبق ذكرها ودكانا (Dagana) ونواحيها، وسالدى (Saldey)، وباؤول (Paoul)، ومياني، وولي (Miani Ouli)، وماكا (Maka).

ويبدو أن سبب نجاح الكتاتيب وانتشارها في السنغال يعود إلى قلة المؤسسات الفرنسية أو إلى عدم وجودها إطلاقاً في المناطق المذكورة سابقاً، بل في غرب إفريقيا بكاملها[3].

باؤول ونواحيها :

تشير الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية أن عدد الكتاتيب القرآنية قد بلغ في نهاية سنة 1912 ما يقرب من 134 كتاباً في دائرة باؤول ونواحيها،

(1) ARCHIVES: "A. O. M." Dossier SENEGAL No 10, ibid.

(2) تشير الإحصائيات الفرنسية إلى عدم التحاق أطفال المناطق المذكورة بالمدارس الفرنسية والحقيقة أننا لا نعلم إذا كانت هناك مؤسسات فرنسية أم لا، وأن عدم التحاق الأطفال راجع إلى عدم رغبتهم في تعلم الفرنسية.

(3) M. CARDAIRE: L'Islan et le Territoir Africain P. 120.

ويدرس بهذه الكتاتيب حوالي 134 معلما، 54 منهم على المذهب التيجاني، و 80 على المذهب القادري. أما عدد التلاميذ الذين يزاولون تعليمهم في هذه الكتاتيب فقد قدرت الإحصاءات الرسمية الفرنسية عددهم بحوالي 1.357 تلميذا[1].

وتعتبر باؤول من أهم مراكز التعليم العربي في السنغال بحيث تحتل المرتبة الثالثة بعد سان لويس ومنطقة الكايور. أما التلاميذ الذين يتعلمون في الكتاب في باؤول وضواحيها فلم يكن واحد من بينهم مسجلا في المدارس الفرنسية، وذلك حتى تاريخ سنة 1912[2].

ريفيسك (Rufisgue):

أما في ريفيسك فقد قدر عدد الكتاتيب في نهاية سنة 1912 بأربعة عشر (14) كتابا يدرس فيها القرآن الكريم. وعدد معلميها فقد قدر أيضا بنفس عدد الكتاتيب. اثنان منهم على المذهب القادري، واثنا عشر ينتمون إلى الطريقة التيجانية. أما عدد تلاميذ ريفيسك فقد قدرته إحصائيات الإدارة الفرنسية بأربعين وثلاثمائة (340) تلميذ وذلك خلال التاريخ المذكور، وبين هؤلاء التلاميذ اثنا عشر (12) يزاولون تعليمهم في المدارس الفرنسية إلى جانب تعلّم اللغة العربية وحفظ القرآن في الكتاتيب[3].

سان لويس (Stlouis):

تعتبر سان لويس أهم مركز للتعليم العربي في السنغال، بحيث قدرت الإحصائيات الفرنسية وذلك في نهاية سنة 1912 عدد الكتاتيب القرآنية الموجودة فيها بما يقرب من سبع وسبعين كتاباً (77). أما عدد معلمي هذه الكتاتيب فقد

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(2) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(3) نفس المصدر السابق: أرشيف ما وراء البحار باريس.

قدر بنفس عددها، أي سبع وسبعين معلما منهم 35 علـى المذهـب الصوفـي التيجاني و 24 على المذهب القادري، وقد قدر عدد التلاميذ في سان لويس وذلك خلال نفس السنة المذكورة بألفين وأحد عشر تلميذا (2011). ويلتحق من بين هؤلاء التلاميذ بالمدارس الفرنسية الحكومية ما يقرب من ثلاثمائة (300) تلميذ، يزاولون تعليمهم الفرنسـي إلى جانب تعليمهم العربي في الكتاتيب[1].

ولم تفقد سان لويس أهميتها الثقافية في عهد الفرنسيين، بل ركزت عليها الإدارة الفرنسيـة وعرفت نشاطًا ثقافيًا ملحوظًا وخاصةً في عهد فيديرب[2] الذي أنشأ بها مدارس ابتدائية فرنسية، وسعى جاهدًا لبعث التعليم الفرنسي في السنغال. وبعد فيديرب أنشئت بسان لويس مؤسسات للتعليم الفرنسي على مختلف أنواعه، ونذكر من هذه المؤسسات على سبيل المثال مايلي: مدرسة فيديرب للتعليم الإداري والتجاري، وثانوية فيديرب التى أنشئت بقرار 20 جوان 1919، والمدرسة العليا لتخريج المتعلمين، والمدرسة الفلاحية لتخريج التقنيين الفلاحيين، ومدرسة لتكوين الأطر المتوسطة للإدارة في مختلف فروعها، منها ماهي مختصة في الإدارة العامة، مثل: الجمارك والبريد والحسابة وغير ذلك[3].

كايور ونواحيها (CAYOR):

بلغ عدد الكتاتيب القرآنية في كايور ونواحيها حسب إحصائيات الإدارة الفرنسية لسنة 1912 ما يقرب من 228 كتابا. أما عدد معلمي هذه الكتاتيب فقد قدر بنفس عددها، أي 228 معلمًا، منهم 130 معلمًا ينتمون إلى الطريقة التيجانية كمذهب صوفي، و28 ينتمون إلى الطريقة القادرية، ويعلم هؤلاء المعلمون ما يقرب من ألفي تلميذ (2000) يلتحق من بينهم 88 بالمدرس الحكومية الفرنسية إلى جانب التحاقهم بالكتاتيب القرآنية.

---

(1) نفس المرجع: أرشيف ما وراء البحار باريس.

(2) A. SARAUT: opiur, P. 400.

(3) ARCHIVES: "A. O. M." Annexe de Paris: op. at.

جدول عام للكتاتيب القرآنية في السنغال، كل دائرة على حدة[1]

الدائـــــــــــرة	الكتاتيب القرآنية	مذهـــب شيـوخ الكتاتيـب		عـدد التلاميذ	الملتحقون بالمدارس الفرنسية
		التيجاني	القادري		
دكار	30	28	2	673	49
نواحي دكار	18	15	3	122	17
ريفيـك	14	12	2	340	12
سان لويس	77	35	42	2011	800
دائرة تياس	30	27	8	100	4
دائرة كابور	218	130	88	1978	33
دائرة لوقا	247	156	91	820	=
دائرة دغانه	58	45	12	330	=
دائرة بودور	111	109	2	643	41
دائرة سالدي	76	49	27	281	=
دائرة ماتـــام	40	36	4	326	17
دائرة بـاكـــال	91	60	31	695	30
دائرة بـــاؤول	134	54	80	1357	=
دائرة سيـــني سالوم (كاولاك)	131	102	26	721	73
دائرة ميان أولي (ماكا)	13	12	1	53	=
دائرة جانيا العليا (كودوقو)	36	14	32	200	6
دائرة كازامالس (زيقاندور)	61	17	44	905	11
المجمـــــــوع	**1.385**	**902**	**483**	**11.451**	**633**

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

والجدول السابق يبين لنا توزيع مراكز الكتاتيب في السنغال عبر الدوائر، ويفيدنا بأعدادها، والنزعة الصوفية لكل معلم من معلمي الكتاب، كما يوضح الجدول عدد تلاميذ الكتاتيب، والذين يتعلمون منهم في المدارس الحكومية الفرنسية، التي وضع ركائزها الجنرال فيديرب[1]، في سنة 1854، في السنغال، لتنتشر بعد ذلك في كامل إفريقيا الغربية.

ويوضح الجدول السابق، أن عدد تلاميذ الكتاتيب في السنغال قد بلغ 11.451 تلميذا يدرسون اللغة العربية ومبادئ الشريعة الإسلامية.

ويشرف على تعليم هؤلاء التلاميذ ما يقرب من 1.385 معلمًا، وذلك حتى نهاية سنة 1912 م.

والملاحظ أنه حتى سنة 1912 لم يُبْد أهل السنغال رغبة كبيرة في إرسال أبنائهم إلى المدارس الحكومية الفرنسية. ويتجلى ذلك واضحًا من خلال الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية، حيث نجد أنه من بين 11.451 تلميذاً سنغالياً لا يلتحق بالمدارس الفرنسية إلاعدد ضئيل من بين هؤلاء الأطفال يتمثل فيما يقرب من 633 تلميذا[2] ويبدو أن سبب ذلك يرجع إلى عدم توفر المؤسسات الفرنسية في البلاد، علما بأن اهتمام الحكومة الفرنسية بالأفراد المسيحيين السنغاليين كان كبيرا، إذ وفرت لهم المدارس الدينية التي كان يشرف عليها الآباء البيض بينما أهملت أغلبية السكان السنغاليين المسلمين. ولقد أشار إلى ذلك السيد فيديرب في إحدى رسائله التي وجهها إلى وزير المستعمرات، ويقول فيها مايلي[3]:

---

(1) «فيديرب: كان فيديرب ضابطا عسكريا في فرنسا لا شأن له، ثم عمل في الجزائر تحت قيادة الجنرال بيجو. أما في السنغال فقد أثبت جدارته كقائد عسكري وكحاكم إداري ذو كفاءة عالية، وقد وضع الأسس الاولى للادارة المحلية في السنغال ويعتبر اول فرنسي سيطر على مسرح الأحداث السياسية في السنغال. عين في سنة 1854 كحاكم على السنغال وذلك حتى سنة 1865 وخلال هذه الفترة انقطع مرة واحدة عن مهمته بين سنتي 1861 ، 1863 خلفه فيها الحاكم جوري فيبري (Jauré Gui berry) الذي تقلد منصب وزير البحرية في سنة 1879، ثم عاد فيديرب بعد انقطاعه إلى السنغال حتى سنة 1865.

(2) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(3) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.*

انظر تقرير فيديرب بتاريخ 1856/7/9 ملحق رقم 3.

«. . . من بين 50.000 من الأهالي السنغاليين فالمسيحيين الذين يقدر عددهم بألفي (2.000) شخص لهم مدارس دينية يشرف عليها الآباء البيض، ولكن 48.000 من الأشخاص المسلمين ليس لديهم أية وسيلة لتعلم لغتنا (يقصد اللغة الفرنسية) لكي يندمجوا تدريجيا في مجتمعنا. . هذا ياسيادة الوزير لا يشرف فرنسا. . .»[1].

ومن خلال دراسة جدول المعلمين للكتاتيب القرآنية لمدينة دكار يبدو أن التعليم في الكتاتيب مقتصر على ثلاث قبائل، وذلك من بين القبائل المتعددة التي تقطن السنغال. وهذه القبائل هي كالتالي مرتبة حسب مشاركة عدد أفرادها المنتمين لها في مهنة التعليم[2].

قبيلة لوبو (Lobo) وتأتي في المرتبة الأولى، حيث نجد أن عدد المعلمين الذين ينحدرون من هذه القبيلة، والممارسين لمهنة التعليم العربي يقدر عددهم بـ 13 معلما من بين 30 معلما الموجودين في مدينة دكار.

وتأتي مباشرة بعد قبيلة لوبو، قبيلة الوولوف (Oulof) المشهورة بحماسها وتدعيمها للدّين الإسلامي في المنطقة عبر العصور. واتخذت قبيلة الوولوف الكتابة العربية لكتابة لغتها المحلية وذلك منذ دخول الإسلام للسنغال[3]. ويقدر عدد معلمي الكتاتيب في مدينة دكار، الذين ينحدرون من أصل وولوف بـ 9 معلمين.

أما قبيلة التكرور وهي كذلك من أشهر القبائل المساندة للإسلام، والتي عملت جاهدة على نشره في السودان الغربي بين الزنوج الوثنيين وذلك بقيادة زعيمها الحاج عمر خلال القرون الحديثة[4]. وتأتي في المرتبة الثالثة وذلك حسب مشاركة عدد أفرادها في مهنة التعليم في مدينة دكار حيث يقدر عددهم بـ 8 معلمين.

---

(1) المصدر نفسه.

(2) انظر جدول معلمي الكتاب في السنغال ص 79.

(3) انظر رموني: ص 5، انظر كذلك ف. مونتوي: ص 225.

(4) انظر مونتوي: ص 222.

5- المعلمون ومكانتهم الاجتماعية والثقافية :

يذهب بعض المؤلفين الغربيين إلى القول، «إن معلمي الكتاتيب في السنغال لا يعرفون شيئًا من اللغة العربية ويدرسون لغة لا يعرفونها، وأنهم يدرّسون للأطفال مبادئ الكتابة العربية التي لا تخول لهم أبدًا قراءة نص عربي. أما المعلمون ذوي الكفاءات الثقافية والدينية فلا يلقنون هذه الثقافة إلا لعدد ضئيل من التلاميذ الشيء الذى جعل الطلبة ينتقلون من مكان إلى آخر بحثًا عن المزيد من الثقافة العربية[1]، بعيدًا عن ديارهم».

وكان التكوين الثقافي لمعلمي الكتاتيب في السنغال مقتصرًا على حفظ القرآن الكريم ومبادئ الشريعة الإسلامية وذلك في مراكز الطرق الصوفية في البلاد وبخاصة منها: التيجانية والقادرية[2].

ومن خلال إحصائيات الإدارة الفرنسية لسنة 1912 م يتضح جليًا تفوق الطريقة التيجانية وانتشارها عبر السنغال، على منافستها الطريقة الصوفية القادرية؛ ذلك لأننا نجد من بين 30 معلمًا للكتاب في مدينة دكار وحدها، 28 معلما ينتمون إلى الطريقة الصوفية التيجانية[3]. وبالتالي فهؤلاء المعلمون قد تلقوا تكوينهم في مراكز الطريقة المذكورة، ما عدا اثنين منهم فهما على المذهب القادري[4]. وتذكر الوثائق أن جل هؤلاء المعلمين قد درسوا دراسات دينية فقهية بحتة، واستندت دراساتهم هذه على كتابين أساسيين[5]. وهما: رسالة ابن أبي زيد القيرواني[6] وأصول الفقة للأخضري[7].

---

(1) M. CARDAIRE/ PP 114 - 115.

(2) انظر جدول معلمي الكتاب في السنغال.

(3) انظر البطاقة الشخصية للمعلم: مورمار امدوم ـ وثيقة مترجمة حرفيا/ ملحق.

(4) انظر جدول معلمي الكتاب في السنغال.

(5) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.*

(*) انظر بطاقة المعلم مورمار امدوم.

(6) ابن أبي زيد القيرواني: رسالة ابن أبي زيد القيرواني على مذهب مالك ـ القاهرة 1323 هـ. 335 ص.

(7) الأخضري محمد: أصول الفقة ـ ط/ 2 ـ القاهرة ـ 1962 ـ 431 ص.

ويبدو أن هذه الدراسة كانت سطحية للغاية، علما بأن الوثائق تؤكد على أن أغلب معلمي الكتاتيب لا يحسنون اللغة العربية ولا يلمون بها إلمامًا كافيًا[1]. وهؤلاء المعلمون قد درسوا دراسة محلية. أما الصف الثاني منهم الذي انتقل إلى خارج السنغال وطلب العلم في معاهد القيروان وطرابلس وفاس والقاهرة فيختلفون جذريًا من حيث تكوينهم الثقافي، ولإلمامهم باللغة العربية. وقد درس كثير من هؤلاء المعلمين في المعاهد المذكورة. فإذا ما أتموا دراستهم، أصبح كثير منهم دعاة دينيون ومعلمون في بلادهم الأصلية. وإذا نال المعلم حظًا موفورًا من العلم والمعرفة استطاع أن يؤثر في الجماعات التي يعيش بينها ونال بينهم مكانة اجتماعية مرموقة[2].

ويحظى المعلمون في السنغال بأقصى نصيب من التقدير، وفي بعض قبائل إفريقيا الغربية تضم كل قرية دارًا لاستقبال هؤلاء المعلمين، ويعتبر الرؤساء أصحاب المناصب غير الدينية أقل هيبة وتقديرًا من هؤلاء المعلمين. وفي الدول الإسلامية التي اتخذ فيها القرآن أساسًا للحكم تحتاج هذه الدول إلى خدمات هؤلاء المعلمين وخاصة في المسائل الدينية وتفسير معاني القرآن الكريم[3]، ونشر شريعته.

وهذا التقدير والاحترام اللذين يحظى بهما المعلمون في السنغال من طرف الأهالي والسلطة تقليديان في إفريقيا الغربية، ويقول حسن الوزان: «لقد كان الأساتذة يحظون باحترام خاص من طرف سلطان تنبكت. ولهذا كانت تستورد الكتب العربية المخطوطة بالأيدي من شمال إفريقيا وتباع بأثمان باهظة، والمتاجر بهذه الكتب يقتني أرباحا كبيرة أكثر من بعض تجار المواد الغذائية والألبسة أو العبيد»[4].

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.*

(2) د/ حسن إبراهيم حسن: المرجع نفسه ص 114.

(3) د/ حسن إبراهيم حسن: المرجع نفسه.

(4) الحسن الوزان ـ ليون الإفريقي: ج 3 ص 91.

وفي عهد مملكة سنغاي، كان الأساقيون يسألون العلماء عن سنة الرسول ﷺ ويتبعون أقوالهم ولا يقف الأسقيا لأحد من حاشيته أو المقربين إليه إلا للعلماء والحجاج عند ما يعودون من مكة، ولا يشارك الأسقيا في طعامه إلا العلماء والأشراف وأولادهم[1].

وقد كان العلماء يحظون برضا الأساقيين وخاصة في عهد الأسقيا أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، الذي كان يحب المعلمين والأتقياء وطلاب العلم. وقد كان يجزل لهم العطاء ويوزع عليهم بسخاء الثروات. . .[2].

ولعل مملكة سنغاى كانت أكثر الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا اهتمامًا بقضية نشر التعليم وتشجيع رجال التعليم والطلبة. واحترامًا لمراكز التعليم، فلا يدخلها السلطان أو رجال الحكم إلا في المناسبات الدينية فقط[3].

إذن كان معلمو الكتاب في إفريقيا الغربية يحظون بمكانة اجتماعية مرموقة، ويحظون بالتقدير والاحترام من طرف العام والخاص، وربما فاق ذلك أصحاب المناصب الدنيوية. ولا يزال معلمو الكتاب في السنغال حتى الآن يحظون بنفس التقدير والاحترام اللذين حظي بهما زملاؤهم سابقا.

أما عن توزيع معلمي الكتاب عبر مدينة دكار، فالجدول التالي يعطينا صورة واضحة عن ذلك، كما يبين الجدول أصل كل معلم، والطريقة الصوفية التي ينتمي إليها، وعدد التلاميذ الذين يشرف على تعليمهم ذكورًا وإناثًا والملتحقون منهم بالمدارس الفرنسية.

---

(1) محمد كعت: تاريخ الفتاش ص 114.

(2) محمد كعت: ص 115.

(3) د/ عبد القادر زبادية: ص 141.

جدول معلمي الكتاتيب القرآنية في دكار(1)

الرقم	الدائـــــــرة	القبيلة	المذهب الديني	عدد التلاميذ	ذكور	إناث	المنتمون للمدارس الفرنسية
1	مومار امدوم	وولوف	تيجاني	20	16	4	4
2	امادو مختار ديوب	لوبو	-	15	10	3	=
3	امادو خان	تكرور	-	74	70	4	5
4	حادي خان	= = =	-	45	36	9	=
5	فهدار ديوب	وولوف	-	23	177	6	4
6	ليرلو بيلاديا	تكرور	=	12	9	3	=
7	أمادو سعيد وخان	= = =	-	22	15	7	7
8	ديابي لوم	وولوف	=	24	21	3	4
9	امادو لمين دام	تكرور	-	10	10	=	=
10	قربيريل ديان	لوبو	-	32	18	4	3
11	عـان الدوي	= = =	-	58	48	15	5
12	نيبرنو بومبا صاك	تكرور	=	33	25	8	2
13	أبرن اندياى قاي	لوبو	-	28	277	1	4
14	ابراهيم قاي	- - -	=	45	40	5	3
15	بدول هيري	تكرور	-	29	24	=	2
16	مالـو سـي	وولوف	-	4	4	=	=
17	اجاي ديول	لوبو	-	13	9	4	2
18	مالـو تان بدرجان	= = -	-	8	7	1	=
19	ميفا اندباي	- - -	=	45	45	=	=
20	ختار قاى	- - -	-	13	6	7	1
21	بوبكر باح	تكرور	-	20	18	2	=
22	جمار كوندى	وولوف	-	11	4	7	=
23	صـدو ديوب	- - -	=	20	13	7	=
24	ادبو اندوي	لوبو	-	9	6	3	=
25	مادوم قاى	- - -	=	=	=	=	1
26	قوره لـو	وولوف	-	25	13	2	=
27	سليمان امباي	لوبو	-	8	6	2	=
28	ثمان صال	وولوف	قادرى	6	5	1	=
29	تياوه كوناري	- - -	تيجاني	21	20	=	=
30	سياكان باي	لوبو	قادرى	2	2	=	2
				672	545	127	127

(1) ARCHIVES: S. O. M. Dossier SENEGAL No 10.

والمتبع للجدول السابق، أي جدول معلمي الكتاب في مدينة دكار يلاحظ أن التلاميذ الذين يلتحقون بالمدارس الفرنسية من بين مجموع تلاميذ الكتاب عددهم ضئيل جدًا، إذ إن الجدول يبين أن عدد التلاميذ الذين يدرسون في الكتاب في مدينة دكار وحدها يقدر عددهم بما يقرب من 672 تلميذًا، 545 منهم ذكوراً و 127 إناثًا[1]. أما الذين يلتحقون من بينهم بالمدارس الحكومية الفرنسية فلم يقدر عددهم إلا بما يقرب من 49 تلميذا وكلهم ذكور[2].

ويبدو من خلال هذه الأرقام[3] إقدام السنغاليين على تعلم اللغة العربية وتفضيلها على اللغة الفرنسية وذلك على الأقل حتى سنة 1912 م تاريخ الإحصاءات الرسمية للإدارة الفرنسية[4].

أما عن معاش معلمي الكتاتيب في السنغال فكان يتمثل في الإعانات التي تقدمها لهم المدينة أو القرية عامة، وكانت العائلات التي لم تنجب أطفالا تساهم هي الأخرى في هذه الإعانات[5].

وعادة ما يعتمد معلمو الكتاتيب في معاشهم على الزراعة بالدرجة الأولى وعلى الخدمات التي يقدمها تلاميذهم لهم[6].

ويقف جل المؤلفين الغربيين أمثال: الفونس غوي[7]، وفانسا مونتوي[8]، وجورج هاردي[9]، ودونير بوش[10]، وغيرهم موقفا مناوئا من قضية

(1) انظر جدول معلمي الكتاب في دكار الصفحة السابقة.

(2) انظر جدول معلمي الكتاب في دكار الصفحة السابقة.

(3) انظر جدول معلمي الكتاب في دكار الصفحة السابقة، والجدول العام للكتاتيب في السنغال.

(4) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(5) نعيم قداح: ص 169.

(6) V. MONTEUIL: P. 142.

(7) A. GOUILLY: P. 222.

(8) V. MONTEUIL: L'Islam Noir P. 142.

(9) G. HARDY: Une Conquêtte Mor. L'Ens. P. 157.

(10) D. BOUCHE: (Thèse) P.279.

الخدمات التي يقدمها التلاميذ إلى أساتذتهم، بل يعتبر بعضهم هذا العمل الذى يُقدِم عليه المعلمون[1] في السنغال استغلالاً للتلاميذ وخرقًا صارخًا لحقوق الإنسان.

ولكن الحقيقة ليست كذلك. . . فعلاً، فالتلميذ السنغالي يحتطب، ثم يبيع حطبه، ويسلم ثمنه إلى معلمه في الكتاب أو في المدرسة، ويجلب له الماء، ويقوم بخدمة زراعته في أوقات فراغه، أي قبل ساعات الدراسة أو بعدها. ولكن مقابل ذلك يتكفل المعلم بكل مصاريف التلاميذ وتعليمهم، مع إسكانهم في داره أو في دارٍ خاصةٍ بهم تسمى «دارا». علمًا بأن هذه الوضعية مقتصرة على التلاميذ الذين يأتون من أماكن بعيدة وبعلم من آبائهم[2].

وأين الاستغلال هنا أو الخرق لحقوق الإنسان؟

وفي وقت كانت فيه الكتب الدراسية نادرة ومتوارثة فالتلاميذ الذين يرغبون في اقتناء هذه الكتب وخاصة منها الكتب الفقهية التي ذكرناها سابقا، يتجه التلاميذ إلى المعلم الذي في حوزته هذه الكتب وينسخونها، وذلك مقابل خدمات يقدمونها إلى هذا المعلم، خاصة في المواسم الزراعية حيث يحتاج المعلمون إلى من يساعدهم في خدمة زراعتهم[3].

وشهدت حركة التعليم العربي المتمثلة خاصة في الكتاتيب القرآنية في السنغال، بعض التطورات الكمية؛ وذلك بين سنتي 1909-1912[4].

والجدول التالي يقارن بين الكتاتيب القرآنية خلال السنتين المذكورتين، ويوضح عدد الكتاب ومجموع التلاميذ معًا.

---

(1) «يثور المؤلفون الغربيون على معلمي الكتاب بعنف لأنهم يدفعون الأطفال إلى الشحاذة حسب رأيهم. لكن هؤلاء الأطفال قد يتخلى عنهم أولا آباؤهم كلية للمعلمين وقد يكون المعلم ضعيف الإمكانيات في بعض الأحيان وربما ذلك هو السبب الذي يجعله يدفع بهم إلى الشحاذة».

(2) استجواب السيد: ملحق ثقافي بسفارة السنغال بالجزائر.

(3) الاستجواب نفسه.

(4) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

جدول مقارنة الكتاتيب القرآنية

في السنغال بين سنتي 1912/1909[1]

يبدو أنه قبل سنة 1912، فالإحصائيات عديمة الوجود أو ناقصة جدا[1].

وفيما يخص سنة 1909 فقط تبدو الأرقام المعطاة لها شيء من الأهمية؛ والأرقام المذكورة في هذا الجدول تبين تقارب السنتين كميًا. ومن خلال هذه الأرقام يمكن استخلاص التطور الكمي للكتاتيب القرآنية بين سنتي 1912-1909 .

مجموع التلاميذ	عدد الكتاتيب	السنة
10717	1316	1909
11415	1385	1912

6- التعليم الحر ودوره في دعم الدين والثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا :

المدارس الحرة وبرامجها :

ارتبط التعليم العربي ارتباطا وثيقا بالدين في السنغال وبالتالي فقد ألحقت المدارس في أول أمرها بالمساجد. وخصصت إلى جانب كل مسجد غرفة أو غرف للتعليم، كما خصصت غرف لنوم التلاميذ الذين قدموا من المناطق البعيدة[2].

والمعلوم أن المساجد كانت ولا تزال حتى الآن مقرًا للتعليم ونشر الثقافة العربية الإسلامية. حيث كانت تعقد حلقات ثقافية لهذه الغاية، ومن ثم كانت المساجد بمثابة مراكز لإشعاع اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(2) نعيم قداح: ص 157-160 .

وبزيادة تأثير الطرق الصوفية والمرابطين من السنغاليين ونشرهم للثقافة العربية بينهم من جهة وتوطيد ركائز الإسلام في البلاد من جهة أخرى ألحقت المدارس بالرباط. ثم ألحقت المدارس بعد ذلك بالزوايا على مختلف مذاهبها[1].

أما في القرى النائية السنغالية الخالية من المدارس فكان الأطفال يتجمعون حول الدعاة ويكونون حلقة حولهم ويدرسون على هذه الطريقة[2].

وأخذ الأساتذة العرب الذين قدموا من شمال إفريقيا على عاتقهم مهمة التعليم في أول الأمر. وبعد مدة تولى مهمة التعليم نخبة من أبناء السنغال، وكان جلهم من رجال الدين الذين تثقفوا ثقافة عربية في داخل البلاد أو خارجها[3].

وكان التعليم في هذه المدارس يعطى مجانًا وبدون مقابل، الأمر الذي شجع التلاميذ على الالتحاق بهذه المدارس التي انتشرت في السنغال بصفة ملحوظة[4]. وعادة ما يلتحق التلاميذ بالمدارس في سن الخامسة[5]. وفي بعض الأحيان يرسل هؤلاء الأطفال إلى المراكز الثقافية الإسلامية التي اشتهرت بسمعتها الثقافية في العالم الإسلامي[6]. أو يوفد إليهم المعلمون الذين يتعاطون مهنة التجارة، وفي بعض مدارس السنغال يتعلم التلاميذ في هذه الأخيرة ساعة قبل شروق الشمس وساعة قبل غروبها وذلك حتى يستطيعوا إعانة أهلهم في إعمالهم اليومية.

أما مناهج التعليم في هذه المدارس فتكاد تكون شبيهة ببعضها البعض. وتعليمها يدور حول محور أساسي؛ وهو نشر الدين الإسلامي، وبالتالي فهذه المدارس تعتني بالدرجة الأولى بتعليم الفرائض الدينية، وتلاوة القرآن وحفظه

---

(1) V. MONTEUIL: op; ut, P. 222.

(2) نعيم قداح: المرجع نفسه.

(3) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.*

(*) انظر تقرير المسئول السامي المسيحي... «الذى يلح فيه على طرد الأساتذة العرب الذين يعلمون في السنغال ويسميهم بالغرباء».

(4) مارسيل كاردير: ص 114-115 .

(5) من المقاييس التي يعتمد عليها السنغاليون لاختيار كفاءة الطفل للالتحاق بالكتاب هو أنه عندما يستطيع هذا الأخير أن يعد إلى عشرة بدون خطأ فتلك علامة على استعداد الطفل لتلقي المعلومات في الكتاب.

(6) V. MON. P 222.

وتفسيره باللغة العربية أحيانا أو باللغة المحلية أحيانًا أخرى. أما طلاب الفرق الراقية فيدرسون الحديث الشريف وأصول الفقة والتوحيد والأدب العربي وقواعد اللغة العربية[1].

7- برامج التعليم التقليدي ومراحله :

وعمومًا فمراحل التعليم التقليدى العربي في السنغال تنقسم إلى ثلاث مراحل وهي كالتالي[2]:

المرحلة الأولى :

وهي التحاق التلميذ بالكتاب، أي بالمرحلة الابتدائية. ويبدأ التلميذ في هذه المرحلة بتعلم الحروف الهجائية العربية، ومبادئ الكتابة، وبعد إتقان القراءة والكتابة يشرع في حفظ القرآن الكريم شيئا فشيئا[3]. ويكتب التلميذ من القرآن الكريم ما استطاع على حفظه، أي حسب طاقته الفكرية. وعادةً ما يكتب التلاميذ في هذه المرحلة ثمن حزب من القرآن الكريم[4]. وهكذا تدريجيا حتى ينتهي التلميذ من حفظ القرآن الكريم وذلك انطلاقا من سورة الفاتحة أول سورة في القرآن إلى آخر سورة فيه بطريقة تصاعدية، ثم يُعيد التلميذ حفظ القرآن مرة أخرى بطريقة تنازلية[5].

وعند انتهاء التلميذ من حفظ القرآن تُكوّن لجنة لاختبار مدى حفظه للقرآن من بعض المعلمين، وأقرباء التلميذ، وأعيان البلد الحافظين للقرآن. ويمتحن التلميذ من طرف هذه اللجنة شفويا. وتُقَسّم اللجنة أعمالها حسب طاقة التلميذ على استعادة ما حفظه من القرآن، وقد يستمر ذلك

(1) V. MOBTEUIL: L' Islan Noir P. 132.

(2) استجواب السيد: (ملحق ثقافي بسفارة السنغال بالجزائر) أحد طلاب الكتاتيب في السنغال بين سنتي 1956/1950، بتاريخ الأربعاء 30 مايو 1979.

(3) M. CARDAIRE: 114-115.

(4) «قد يُكتب إلى التلميذ أقل من ثمن الحزب من القرآن إذا كان هذا الأخير قليل الذكاء والاستيعاب».

(5) استجواب السيد: محمد لمين نيامن ملحق ثقافي بسفارة السنغال بالجزائر.

بضعة أيام، ثم يمتحن التلميذ مرة أخرى كتابياً من طرف أستاذه الذي يراقب ما قام به الممتحن من أعمال، أي أن التلميذ يكتب60 حزبًا من القرآن التي حفظها ويعرضها على أستاذه تدريجيا وذلك حتى آخر سورة في القرآن[1].

المرحلة الثانية :

وهي مرحلة التحاق التلميذ بالمدرسة الحرة وذلك بعد حفظ القرآن؛ والمدرسة الحرة كانت مهمتها تكاد تقتصر على نشر الدين الإسلامي، وتعليم مبادئ الديانة الإسلامية للتلاميذ. وعادة ما تقتصر دراسة التلاميذ في المدارس الحرة على بعض الكتب الدينية واللغوية والنحوية وذلك مثل كتاب الخضري[2]. وابن زيد القيرواني[3]. وغيرهما[4].

وفي المدرسة الحرة يبدأ التلميذ في تعلم قواعد اللغة العربية. وفي مادة القواعد يركز خاصة على كتاب «الأجرومية»، ثم على كتاب «ملحمة الإعراب»[5]. ثم ينتقل إلى دراسة الأدب العربي ويبدأ بدراسة العصر الجاهلي، ثم بعض القصائد الإسلامية المشهورة[6].

المرحلة الثالثة :

وهي مرحلة تفسير القرآن الكريم. وقد يتجه التلميذ لإدراك معاني القرآن إلى شيخ من الشيوخ المختصين في تفسير القرآن[7].

وفي يوم نهاية تفسيرالقرآن تقام حفلة كبيرة يحضرها أهل الطلاب وبعض

---

(1) الاستجواب نفسه.

(2) سبق التعريف بالكتاب والمؤلف.

(3) سبق التعريف بالكتاب والكاتب.

(4) انظر بطاقة المعلم: مومار أمدوم وثيقة مترجمة حرفيا، فيمابلي، أرشيف ماوراء البحار ملحقة باريس.

(5) من العراقيل التي يلاقيها التلميذ في دراسته خلال المرحلتين الثانية والثالثة هو أن الكتب التي يعتمد عليها في غالبها مخطوطة.

(6) استجواب السيد: لمين نيامنن ملحق ثقافي بسفارة السنغال بالجزائر.

(7) نفس الاستجواب.

الشيوخ وأعيان البلد؛ ويكلف كل طالب بأن يأتي بقلسونة وبشاش أبيض. وعند ختام التفسير يشرع الشيخ في وضع القلانيس والشيشان على رؤوس التلاميذ الممتحنين، لكي تكون علامة لهم على ذلك. وقد حرفت كلمة تفسير وصارت «تمــير» وهذه الكلمة الأخيرة قد تتخذ في السنغال كاسم لشخص ما، وتشيع معه، ويضيع اسمه الحقيقي معها. ولم تفقد الطريقة - التي أشرنا إليها - مكانتها في البلاد إلا بعد الاستقلال[1].

وقد آن لنا أن نلخص هذا الفصل، وفيما يخص كلمة السنغال واشتقاقاتها، يبدو أنها اشتقت إما من كلمة «سنغالة» وهو ما ذكره الرحالون والجغرافيون العرب خلال القرون الوسطى، أو من كلمة «ازيغان» التي تسمى بها قبائل الموريطانيين حاليًا المنطقة السفلى لنهر السنغال، ونظرًا للتشابه الكبير بين الكلمتين «سنغانة» و «اريغان»، قد تكون الكلمة الأخيرة تحريفًا للكلمة الأولى، ومن ثم فكلمة «سنغانة» قد تكون أصل كلمة «سنغال» الحالية.

أما عن علاقة السنغال بالحضارة العربية الإسلامية فيبدو أنها ترجع إلى نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الميلاديين. غير أن القرن الحادي عشر الميلادي كان من أزهى مراحل الحضارة العربية والدّين الإسلامي في السنغال؛ إذ أسلمت خلال هذا القرن الأخير مملكة التكرور العظيمة، ثم قبائل الويلوف وسرا كولي وسنا نكوكي وغيرها من القبائل.

وربما كان السنغال أكثر الأمم الإفريقية تحمسًا للغة العربية وأكثر حرصًا على تعلمها وإتقانها. ومن هنا سعى السنغاليون لفرض عقوبات قاسية على أطفالهم إذا تهاونوا في تعلم اللغة العربية أو في حفظ القرآن الكريم[2].

---

(1) استجواب السيد: م. لين نيامن ملحق ثقافي بسفارة السنغال بالجزائر.

(2) يذكر ف. مونتوي (ص 134) «أن الحاج فاليو (محمد فاضل) مباكي زعيم الطريقة المريدية وهو الابن الثاني لامدو بامبا مؤسس الطريقة المذكورة الذي توفي في سنة 1927. «إنه كان يعلق لمدة ساعات أطفالا من عائلته، ذلك لانهم تباطأوا في حفظ القرآن».

وتتجلى رغبة السنغاليين في أكثر من مناسبة في تعلم اللغة العربية والانتماء إلى حضارتها[1]. وتعتبر الكتاتيب القرآنية في السنغال أرضية خصبة لدفع عجلة الثقافة العربية إلى الأمام من جهة، ودرعًا واقيا لها من جهة أخرى.

وتنتشر الكتاتيب القرآنية في السنغال عبر 18 دائرة أهمها: دكار، لوقا، باؤول، ريفيسك، سان لويس، وكايور، وقد قدر عدد تلاميذ الكتاتيب، وذلك في سنة 1912 بما يقرب من 11.451 تلميذًا. يشرف على تعليمهم 1385 معلمًا، ولا يلتحق من بين هؤلاء التلاميذ بالمدارس الفرنسية إلا عدد ضئيل جداً يتمثل فيما يقرب من 633 تلميذاً.

أليست هذه الأرقام دليل قاطع على تفوق اللغة العربية على اللغة الفرنسية في السنغال من جهة، وعلى مدى تمسك السنغاليين باللغة العربية من جهة أخرى؟

8- تطور اللغة العربية في إفريقيا الغربية بين سنتي 1907-1909:

قد تكون سنتي 1907 و 1909 من أخصب فترات تطور التعليم العربي بالنسبة لإفريقيا الغربية عامة[2]، وبالنسبة للسنغال خاصة. حيث شاهدت المنطقة خلال السنتين المذكورتين حركة ثقافية عربية امتازت بنشاط كثيف[3]، قام به أهل البلاد أنفسهم، وذلك في ميدان نشر التعليم العربي بين الجماعات الإفريقية[4].

والملاحظ هنا أن الوثائق المتعلقة بالتعليم العربي، والتي تخص النيجر، وغينيا، وساحل العاج، والداهومي هذا الموضوع، علمًا بأن المراجع المكتوبة باللغة العربية أو باللغة الفرنسية هي الأخرى تكاد تكون منعدمة، بل لا وجود لها إطلاقًا. ومهما يكن من أمر، فإن المناطق المذكورة قد عرفت نشاطًا تعليميًا عربيًا هامًا؛ وذلك على غرار مناطق السنغال التي ذكرناها.

---

(1) يذكر م. كاردير: (ص 63) «أن أحد التلاميذ السنغاليين قد كتب إلى رئيس الدائرة التي ولد فيها من القاهرة حيث كان يدرس هناك، قصد تغير اسمه وتعويضه باسم عربي».

(2) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في إفريقيا الغربية.

(3) الجدول السابق نفسه: قارن السنوات الثلاث 1907 ، 1908، 1909.

(4) نعيم قداح: ص 124.

النيجر :

عرف النيجر تطوراً ملحوظًا في ميدان التعليم العربي خاصة بين سنتي 1907 و 1909، حيث تقدر الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في البلاد خلال السنتين المذكورتين كما يلي[1]:

جدول عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية
في النيجر بين سنتى 1907-1909[2].

السنة	عدد التلاميذ	عدد البنات من بين المجموع
1907	10.176	55
1908	10.622	61
1909	14.425	207

الداهومي :

قد يكون الداهومي من بين بلدان إفريقيا الغربية التي تأتي في المرتبة الأولى، في ميدان نشر التعليم العربي والاعتناء به، حيث تقدر الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية عدد الكتاتيب القرآنية وذلك في نهاية سنة 1909 ـ مثلا ـ في الداهومي بما يقرب من 134 كتابًا يدرس فيها القرآن الكريم[3].

أما عدد المعلمين الذين يشرفون على التعليم في الكتاتيب المذكورة فقد قدر عددهم خلال نفس السنة المذكورة بما يقرب من 1.588 تلميذا، يعلمون ما يقرب من 1.558 تلميذا[4].

(1) دوليز بوثن: المرجع السابق ص 75.

(2) D. MONCHE: opjut, p. 701.

(3) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(4) أرشيف ماوراء البحار باريس: المصدر نفسه.

ويتوزع عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في الداهومي عبر أربع مناطق هامة في البلاد وهي كالتالى[1]:

(1) بورتوهوفو :

يقـدر عدد الكتاتيب القرآنية في بورتوهوفو خلال سنة 1909، بما يقرب من 20 كتابا، يدرس فيها حوالي 200 تلميـذا.

(2) زانيانـدو :

أما زانياندو فقد تقدر الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية عدد كتاتيبها بما يقرب من 4 كتاتيب يتعلم فيها ما يقرب من 35 تلميذًا، وذلك خلال السنة المذكورة سابقًا.

(3) بورقــو :

تقدر الإحصائيات الفرنسية عدد الكتاتيب في دائرة بورقو ونواحيها بمـا يقـرب من 33 كتابا. يدرس فيها ما يقرب من 541 تلميذا. وقد تكون ناحية بورقو أهم منطقة في ميدان التعليم بالنسبة للمناطق الأخرى، فى الداهومي، وذلك لاستيعابها أكثر عدد التلاميذ[2] والدارسين فيها من الشبان والكهول.

(4) داجـوقـو :

وقد قدر عدد تلاميذ ناحية داجوقو بما يقرب من 350 تلميذًا، ويدرس هؤلاء التلاميذ في 25 كتابًا، وذلك خلال سنة 1909 م. والجدول التالي يعطينا صورة عامة عن توزيع الكتاتيب في الداهومي[3]:

---

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(2) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(3) المرجع السابق: أرشيف ماوراء البحار باريس.

إحصاءات التعليم العمومي[1].

مستعمـرة الداهومي سنة: 1909

التعليم في الكتاتيب القرآنية

الدائرة	نوع التعليم	عدد المدارس	عدد الأساتذة	عدد التلاميذ	ملاحظـة
ويداح	كتاتيب قرآنية	2	2	15	
كيتو	= =	1	1	6	
أقاني	= =	1	2	14	
باركو ونواحيها	= =	10	23	229	
نيكي	= =	23	25	312	
دجوقو	= =	6	8	86	
باتولو	= =	8	10	96	
بارابي	= =	9	9	98	
كواندي	= =	4	5	52	
بورتو عوفو	= =	20	25	200	
النيجرالمتوسط	= =	40	45	450	
المجمـوع		**134**	**155**	**1558**	

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier DAHOMEY No 10.

غينيـــــا :

قد تعتبر غينيا أكثر البلدان الإفريقية اعتناء بنشر التعليم العربي بين المجموعات التعليمية من الأقطار الأخرى في إفريقيا الغربية؛ نظرا لاستيعابها أعدادا هائلة من التلاميذ الدارسين للغة العربية[1].

ويقول نعيم قداح نقلاً عن الرحالة الإنكليزي فرنسيس مور: «إن هذا الأخير قد وجد عام 1731 م جل أهالي غينيا يتخاطبون ويتكلمون باللغة العربية، ذلك لأنهم كانوا يتعلمونها في مدارسهم من جهة، ولأن القرآن هو شريعتهم وهو مكتوب بهذه اللغة. وعمومًا فإلمام الأفارقة باللغة العربية أكثر من إلمام أهل أوروبا باللغة اللاتينية، وأكثر سكان القارة يتكلمون اللغة العربية إلى جانب اللغة المحلية البدائية»[2].

وفي نهاية سنة 1907 تقدر الإحصاءات الرسمية للإدارة الفرنسية عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في غينيا بما يقرب من 28.023 تلميذا[3].

ويبدو من خلال الإحصاءات الفرنسية أن نسبة التعليم العربي في غينيا مرتفعة نسبيا إذا قارناها بالمناطق الأخرى لإفريقيا الغربية[4].

وقد يكون ذلك راجع إلى رغبة الغينيين في تعلم اللغة العربية خاصة وانتماؤهم إلى الحضارة العربية الإسلامية عامة[5].

والجدول التالي يعطينا صورة عن عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في غينيا، وذلك ما بين سنتي 1907-1909:

(1) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في إفريقيا الغربية.

(2) نعيم قداح: ص 169.

(3) دونيزيوش: ص 754.

(4) انظر جدول مقارنة الكتاتيب في إفريقيا الغربية.

(5) Et. Sociales Af.- Paris- No 440- 1961- pp. 7à 9.

جدول عدد تلاميذ الكتاتيب في غينيا[1]

بين سنتي 1907-1909

السنة	عدد التلاميذ	عدد البنات من بين المجموع
1907	28.023	799
1908	23.754	312
1909	23.777	312

ساحل العاج :

تذكر الإحصاءات الرسمية للإدارة الفرنسية أن عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في ساحل العاج قد وصل إلى ما يقرب من 1.544، وذلك في نهاية سنة 1907[2].

والملاحظ هو أن عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية يزداد باضطراد سنة بعد أخرى في ساحل العاج. ويبدو أن سبب ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى رغبة أهل البلاد في تعلم اللغة العربية والتمكن منها قدر ما استطاعوا، غير أن التعليم العربي وذلك حتى نهاية سنة 1909 يكاد يكون مقتصرا على الذكور وحدهم. أما البنات فيبدو أن الآباء لا يرغبون كثيرا في تعليمهن، ويفضل الآباء توجيه بناتهم إلى الأعمال المنزلية.

والجدول التالي يبين لنا عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في ساحل العاج، وذلك بين سنتي 1907-1909:

(1) D. BOUCHE: P. 758.

(2) D. BOUCHE: P. 758.

جدول عدد تلاميذ الكتاتيب

في ساحل العاج بين سنتي 1907-1909[1]

السنة	عدد التلاميذ	عدد البنات من بين المجموع
1907	1.544	--
1908	2.000	--
1909	2.397	13

موريطانيا :

تشير الوثائق الرسمية للإدارة الفرنسية إلى أن عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية قد وصل في موريطانيا إلى ما يقرب من 235 تلميذًا، وذلك في نهاية سنة 1907. علمًا بأن عدد سكان البلد الأخير لم يتجاوز في نهاية نفس السنة 225.000 نسمة[2].

أما تعليم البنات فقد كان منعدمًا تماما في موريطانيا، وذلك حتى سنة 1909، على عكس مناطق إفريقيا الغربية الأخرى التي نجد فيها نسبة معينة تتعلق بتعليم البنات. ويلاحظ ازدياد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في موريطانيا خاصة في نهاية سنة 1909، حيث تشير المصادر إلى ما يقرب من 1.25 تلميذا يتعلمون اللغة العربية ويحفظون القرآن في الكتاتيب القرآنية في نهاية السنة المذكورة.

والجدول التالي يبين لنا عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في موريطانيا ما بين سنتي 1907-1909[3]:

(1) دونيز بوش: المرجع نفسه ص 756.

(2) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاتيب في موريطانيا.

(3) Archives:: "A. O. M". An. Paris, PP., tit Jossier A. O. F. N: No.

السنة	عدد التلاميذ	عدد البنات من بين المجموع
1907	235	--
1908	235	--
1909	235	--

السنغال :

يحتل التعليم العربي المتمثل في الكتاتيب القرآنية من جهة والمدارس الحرة من جهة أخرى في السنغال مكانة مرموقة بين أهل البلاد[1].

وقد شاهد التعليم العربي تطورا ملحوظا خاصة خلال سنة 1907[2]. التي تكاد تضاهي سنة 1913[3] وذلك من حيث عدد التلاميذ والمدارس العربية، علمًا بأن هذه السنة الأخيرة قد بلغ خلالها التعليم العربي في السنغال أوج انتشاره.

وتذكر الإحصاءات الرسمية للإدارة الفرنسية أن عدد تلاميذ التعليم العربي في مدينة سان لويس وحدها قد بلغ ما يقرب من 1.486 تلميذا في نهاية سنة 1907، ويتعلم هؤلاء التلاميذ فيما يقرب من 45 مدرسة عربية. أما في دكار فتذكر الوثائق وجود 27 مدرسة عربية يتعلم فيها حوالي 427 تلميذا. وفي مدينة ريفيسك يوجد حوالي 20 مدرسة عربية تحتضن ما يقرب من 550 تلميذا[4].

وعمومًا فقد بلغ عدد المدارس العربية في السنغال في نهاية سنة 1907 ما يقرب من 1.391 مدرسة تعلم حوالي 11.403 تلميذا[5]. والجدول التالي يعطينا صورة عن التعليم العربي في السنغال خلال السنة المذكورة:

(1) فانسا مونتوي: ص 100 .

(2) انظر جدول تعليم اللغة العربية في السنغال سنة 1907.

(3) قارن جدول التعليم العربي في السنغال لسنتي 1907 و 1913.

(4) انظر جدول تعليم اللغة العربية في السنغال لسنة 1907 (الجدول السابق).

(5) أرشيف فرع ما وراء البحار باريس، ملف السنغال رقم 10.

مستعمرة

السنغال السنة: 1907

إحصائيات تعليم اللغة العربية في المدارس والكتاتيب القرآنية للأهالي السنغاليين [1].

الدوائر	عدد التلاميذ		عدد المدارس	عدد الأساتذة	عدد التلاميذ
	الذكور	البنات			
سان لويس	1.326	160	46	46	1.486
دكار	415	12	27	27	427
فوري	34	10	2	2	44
ريفيك	519	31	20	220	550
اسكال	405	4	34	34	409
المناطق المحمية	8.204	283	1.262	1..262	7.48
المجموع	**10.903**	**500**	**1.391**	**1.391**	**11.403**

وتذكر الوثائق الرسمية للإدارة الفرنسية أن عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في إفريقيا الغربية الفرنسية قد بلغ ما يقرب من 51.275[2] تلميذا، وذلك في نهاية سنة 1907، ليقفز هذا العدد إلى حوالي 54.386[3] تلميذا في نهاية سنة 1909.

والجدول التالي يعطينا صورة واضحة عن التعليم العربي في إفريقيا الغربية:

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(2) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في إفريقيا الغربية ـ الصفحة التالية.

(3) الجدول نفسه.

جدول عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية
في إفريقيا الغربية [1].

المستعمرة السنة	عدد التلاميذ			عدد البنات من بين المجموع		
	1907	1908	1909	1907	1908	1909
السنغال	9.082	10.719	10.933	21	555	354
النيجر	10.16	10.622	14.425	55	61	207
المناطق العسكرية	=	3.413	=	=	=	=
غينيا	28.023	23.754	23.777	799	312	312
ساحل العاج	1.544	2.000	2.397	=	=	13
الداهومي	1.705	1.775	1.558	15	23	50
موريتانيا	285	285	1.2977	=	=	=
المجموع العام	**51.275**	**50.536**	**54.386**	**885**	**950**	**936**

مقارنة الكتاتيب القرآنية في إفريقيا الغربية في نهاية سنة 1907 :

قد عرضنا حالة التعليم العربي المتمثل في الكتاتيب القرآنية في إفريقيا الغربية عامة. وفي ضوء هذا العرض سنحاول إيجاد الفوارق بين قطر وآخر فيما يخص إقبال التلاميذ الأفارقة على التعليم العربي، إذا كانت هذه التباينات موجودة بالفعل.

ونقتصر في هذه المقارنة على المناطق الآهلة بالسكان أي غينيا، والسنغال، وساحل العاج، والنيجر.

(1) Archives: "A. O. M" An. de Paris, Dossier A. O. F. No. 6.

ومقارنة بين السنغال وساحل العاج فيما يخص عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية لكل منهما يتضح الفرق جليا بين البلدين. علما بأن سكان كلا البلدين يكاد يكون متقاربًا بحيث قدر عدد سكان السنغال في سنة 1912 بحوالي 1.250.000 نسمة، وساحل العاج بحوالي 1.200.000 في نفس السنة[1].

أما عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في السنغال فقد قدر بما يقارب من 10.933 تلميذا، وذلك في سنة 1909. أما بالنسبة لساحل العاج فقد قدر عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في نفس السنة المذكورة بما يناهز 2.397 تلميذا فقط. وهذا العدد إذا قيس بمقياس عدد السكان (1.200.000 نسمة) يبدو ضئيلاً بالنسبة لساحل العاج[2].

ويبدو من خلال الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية أن غينيا تأتي في المرتبة الأولى من حيث عدد التلاميذ الذين يتعلمون اللغة العربية في الكتاتيب القرآنية بالنسبة للمناطق الأخرى في إفريقيا الغربية.

ولقد قدر عدد التلاميذ الذين يتعلمون في الكتاتيب القرآنية في غينيا بما يناهز 23.777 تلميذا وذلك في سنة 1909، علما بأن عدد سكانها كان آنذاك حوالي 1.800.000 نسمة[3] بينما لم يقدر عدد تلاميذ الكتاب في النيجر إلا بما يقرب من 14.425 تلميذا[4]. أما في السنغال فقد قدر عدد تلاميذه بما يقرب من 10.933 تلميذا[5].

وإذا قارنا عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في النيجر بالسنغال تبدو الفوارق واضحة بين البلدين بحيث يفوق عدد تلاميذ القطر الأول بكثير عدد تلاميذ القطر الثاني، مع العلم بأن عدد سكان النيجر أقل من عدد سكان السنغال[6].

(1) انظر جدول مقارنة الكتاب في إفريقيا الغربية.
(2) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاب في ساحل العاج.
(3) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاب في غينيا.
(4) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاب في النيجر.
(5) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاب في السنغال.
(6) انظر جدول مقارنة عدد تلاميذ الكتاب في إفريقيا الغربية.

لقد قدر عدد سكان النيجر بحوالي (1.000.000) مليون نسمة في سنة 1912. أما السنغال فقد قدر عدد سكانه بما يقرب من 1.250.000 نسمة.

ونستطيع أن نرتب أقطار إفريقيا الغربية أي إفريقيا الغربية الفرنسية سابقا، وذلك حسب مدى إقبال تلاميذها على تعلم اللغة العربية في الكتاتيب القرآنية كما يلي في الجدول التالي:

جدول مقارنة عدد تلاميذ الكتاتيب
القرآنية في إفريقيا الغربية

الرتبة	البلد	عدد السكان	عدد التلاميذ	عدد البنات من بين المجموع
الأولى			1909	1909
	غينيا	1.800.000	23.777	312
الثانية	النيجر	1.000.000	14.425	207
الثالثة	السنغال	1.250.000	10.933	354
الرابعة	الداهومي	900.000	1.558	50
الخامسة	موريتانيا	225.000	1.297	=
السادسة	ساحل العاج	1.200.000	2.397	13
	المجموع العام	**6.375.000**	**54.386**	**936**



الفصل الثانى

مواقف الاحتلال الفرنسى من الثقافة العربية الإسلامية

1 - التعليم العربي والإدارة الفرنسية
2 - مواقف الكنيسة من الإسلام ولغته
3 - سياسة الإدارة الفرنسية إزاء اللغة العربية
4 - نظرة الكتاب الفرنسيين للإسلام ولغته

1- التعليم العربي والإدارة الفرنسية :

يعترف كثير من المؤلفين الأوروبيين النزهاء، بأن إدراج اللغة العربية في المناهج التعليمية بالمعاهد الفرنسية التي أنشئت في السنغال وغيره من مناطق إفريقيا الغربية أمرًا فرض نفسه ولم تستطع الإدارة الفرنسية غض النظر عنه أو إهماله جهلاً أو مجاهلةً.

وقد كان سبب إنشاء المعاهد الفرنسية الإسلامية سياسيا بحتا[1]. يرمي في النهاية إلى تكوين طبقة سنغالية مساندة للحضارة الغربية في البلاد لغة ودينا وفكرا وثقافة.

وفي الحقيقة فإن السياسة الإسلامية التي رعم الإحتلال الفرنسي تطبيقها في السنغال على غرار المستعمرات الفرنسية الإسلامية الأخرى، كانت تهدف إلى تجسيد فكرة الولاء لفرنسا خاصةً والحضارة الغربية عامةً، وذلك على المدى البعيد.

ورغم أن هذه السياسة كانت تهدف في النهاية إلى خدمة المصالح الفرنسية في غرب إفريقيا فإنها كانت محل نقد وتنديد[2] من قبل بعض المؤلفين الأوروبيين والساسة منهم[3]. وفي هذا المجال قال أحدهم[4]: «لا يمكن أن تكون في إفريقيا الغربية سياسة إسلامية ولكن سياسات».

---

(1) A. SARRAUT: P. 299.

(2) A. GOUILLY: P. 259.

(3) Etudes Sociales. Paris No 440 8/6/1961. PP. 7à 9.

(4) جاء ذلك في كتاب السيد لوسيان هوبير الذى أصدره في سنة 1913 تحت عنوان: «مع أو ضد الإسلام» وهو أحد الشخصيات البرلمانية في فرنسا.

وفي غير من مناسبة أبدى الساسة الفرنسيون تشاؤمهم أمام رغبة السنغاليين في تعلم اللغة العربية والانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية.

وفي هذا المجال كتب السيد فيديرب حاكم السنغال (1854-1865) تقريرا إلى وزير المستعمرات الفرنسية بتاريخ 9 يولية 1856 يقول فيه بالحرف الواحد ما يلي[1]:

«... إن الرغبة التي يبديها الزنوج في تعلم اللغة العربية لهي مصيبة بالنسبة إلينا، ويجب علينا أن نحذر، بل يجب علينا أن لا ننمي هذه الرغبة بأي حال من الأحوال، فاللغة الفرنسية هي التي يجب علينا أن نعلمهم إياها، وهذا لمصلحتنا الخاصة، وإلى حد الآن لم نجعل أي وسيلة في متناول السنغاليين لتعلم لغتنا...».

ويلخص السيد لوشانتليي أحد المؤرخين الفرنسيين آراء الحكام الفرنسيين في السنغال خاصة وإفريقيا عامة أمام انتشار اللغة العربية، والثقافة العربية الإسلامية عامة، والدين الإسلامي خاصة كما سيأتي[2]:

«... يجب أن تكون سياسة فرنسا بالنسبة للإسلام في الداخل وفي الخارج متحفظة أشد التحفظ متبعة طريقًا فعالاً وبدون تردد إزاءه»، وذلك قصد التنقيص من احتمالات انتشاره التدريجي في إفريقيا السوداء»[3].

وكتب السيد بانجير مدير الشئون الإفريقية في مجلة أصدرها تحت عنوان: «نكبة الإسلام» يشرع نفس القدرة السابقة ويلح على تطبيقها. وعنوان المجلة يدل على محتواها[4].

وكتب السيد روير أرنو. رئيس مصلحة الشئون الإسلامية لمدينة دكار في

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.*

(*) انظر تقرير فيديرب بتاريخ 1856/7/9 ـ ملحق 3.

(2) A. GOUILLY: P. 250.

(3) A. GOUILLY: P. 250.

(4) A. GOUILLY: P. Précédente.

سنة 1912 يندد بانتشار اللغة العربية والدين الإسلامي في السنغال. يقول ما يلي[1]:

«. . . يجب أن تكون سياسة فرنسا سياسة صارمة في إفريقيا الغربية. . . ويجب وضع حد لنشاط معلمي الكتاتيب القرآنية والمرابطين في البلاد. . . فإذا تعاطفنا مع هؤلاء سنهيئ بأنفسنا اندماج الأفارقة التدريجي في الإسلام. وبهذا تكون قد أخذنا بيد الإسلام ودفعنا عجلة تقدمه إلى الإمام. . .».

2- موقف الكنيسة من الإسلام ولغته:

أما موقف الكنيسة الكاثوليكية من إنتشار اللغة العربية والدين الإسلامي في السنغال خاصة وإفريقيا الغربية عامة، فيتضح في تقرير بعث به السيد باربي المسئول السامي للبعثات التبشيرية في السنغال ـ وذلك بتاريخ 29 مايو 1556، إلى السيد مايسترو مدير المستعمرات الفرنسية[2].

ويؤكد السيد باربي في هذا التقرير خاصة على استعمال وسائل جدية للقضاء على المساجد والمحاكم الإسلامية، وعرقلة فكرة تثقيف الشبيبة الإسلامية ثقافة عربية إسلامية، بل الوقوف ضد هذه الفكرة والقضاء عليها نهائيا[3]، كما يقترح صاحب التقرير هذا على وزير المستعمرات الفرنسية، طرد معلمي الكتاتيب القرآنية (الغرباء)[4] من السنغال، وتقليص الأحياء التي تدرس فيها اللغة العربية في كل مدن السنغال عامة، ومدينة سان لويس خاصة، بحيث يكون التعليم العربي في كل مدينة مقتصرا على حين فقط.

ويعتبر السيد باربي معلمي الكتاتيب القرآنية مصدرا من مصادر المشاغبة

---

(1) ARNAULD R.: L'Islam et la Politigue Nusulmanc Francaise - Pais - 1912 - P. 44 et Suite.

(2) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.*

(3) انظر تقرير السيد باربي بتاريخ 1856/5/29 ملحق رقم: (1) ص 139

(4) يقصد بذلك صاحب تقرير المعلمين الذين قدموا إلى السنغال من شمال إفريقيا ومن مناطق غرب إفريقيا الأخرى.

والبلبة في مدينة سان لويس وعائقا كبيرا أمام انتشار الحضارة الغربية في السنغال[1].

ويقول السيد باربي في تقريره السابق على وجه الخصوص ما يلي[2]:

«... يجب أن نفرض رقابة شديدة على معلمي اللغة العربية في السنغال على مختلف أنواعهم ونزعاتهم الدينية وذلك بجعل مساعدين لهم من اللائكيين الذين تعلموا في أديرة سانت إسبري وسان كوردي ساري...»

ويقف السيد بول مارتي موقفا متشائما من فتح المدارس العربية في إفريقيا الغربية ويقول بالحرف الواحد ما يلي[3]:

«... من الخطأ فتح المدارس العربية في إفريقيا السوداء... إنها تنير العقول المضادة لنا... علينا أن نترك الإسلام يتطور ويسير في طرقه المظلمة والتي هي أقل خطر بالنسبة لنا...».

وتتضح مواقف الإدارة الفرنسية من التعليم العربي في السنغال من خلال قراراتها التي أصدرها حكامها الذين تعاقبوا علي حكم البلاد أمثال: فيديرب[4] وجوبير[5] وماتيفير[6] وغيرهم.

3- سياسة الإدارة الفرنسية إزاء اللغة العربية:

أما قرار فيديرب الذي أصدره في شهر يونيو 1857، فهو ينص عامة على إعادة النظر في «نظام» الكتاتيب القرآنية؛ وفرض هذا القرار خاصة الامتحانات المهنية على معلمي الكتاتيب القرآنية في السنغال، كما منع هذا القرار فتح أي

(1) انظر تقرير باربي السابق الذكر.

(2) انظر تقرير باربي بتاريخ 1956/5/29.

(3) D. BOUCHE: PP. 709 et 313.

(4) انظر مستوى قرار فيديرب بتاريخ 22 يونيو 1857.

(5) انظر قرار الحاكم جوبير بتاريخ 1870.

(6) انظر مستوى قرار الحاكم ماتيفير (Mathiver) بتاريخ1896 .

مدرسة عربية بدون ترخيص من الإدارة الفرنسية وبدون علم منها. ونص القرار على الشروط التى يجب أن تتوفر في المعلمين المرشحين للتدريس في الكتاتيب[1] والمدارس العربية الحرة.

أما قرار جوبير الذي أصدره في سنة 1870م، فهو ينص على وجه الخصوص أن يتعلم معلمو الكتاتيب القرآنية اللغة الفرنسية، ليعلموها بدورهم لتلاميذهم[2].

أما قرار حاكم السنغال ماتيفير، الذي أصدره في سنة 1896م، فينص خاصة على غلق أبواب المدارس العربية في السنغال، وذلك خلال الساعات التي تفتح فيها المدارس الفرنسية أبوابها؛ لتفسح المجال للثانية. وقد كان ماتيفير يعتقد أن الكتاتيب القرآنية في السنغال تنافس المدارس الفرنسية في أداء مهمتها. وهي التي تحول دون ذهاب الأطفال السنغاليين إلى المؤسسات التعليمية الفرنسية[3].

وإلى جانب القرارات السابقة التى أصدرها الحكام الفرنسيين في السنغال والتى طبقت فيما بعد على كامل مناطق إفريقيا الغربية التى خصصت للاحتلال الفرنسي، محاولة منهم إيقاف تطور التعليم العربي في البلاد، فقد أصدر السيد وليام بونتي (W. Ponty) قرارا يمنع استعمال اللغة العربية في المحاكم الإسلامية في السنغال، وذلك بتاريخ 8 مايو 1911، كما منع هذا القرار الأخير التداول في القضايا التي تنظر فيها المحاكم الإسلامية باللغة العربية، وفرض على هذه المحاكم إجبارية استعمال اللغة الفرنسية[4].

ويدعي صاحب هذا القرار الأخير، أن سبب اتخاذه يرجع اساسا إلى عدم إتقان اللغة العربية من طرف الأهالي الأفارقة المشرفين على الشئون القضائية في البلاد[5].

وهل السنغاليون متمكنون من اللغة الفرنسية في هذا العهد؟

---

(1) D. BOUCHE: P. 319.

(2) دونيز بوش: المرجع السابق نفس الصفحة.

(3) دونيز بوش: المرجع السابق نفس الصفحة.

(4) G. HARDY: Une Conquêtte Mor. L'Ens. en A. O. F. P. 249.

(5) G. HARDY: Une Con. Mor. L'Ens. P. 249.

ويقول السيد جورج هاردي معلقا على قرار وليام بونتي: «إن الأفارقة لايعرفون اللغة العربية، لذلك سنعلمهم هذه اللغة الأخيرة[1]. لأنها ليست خطيرة بالنسبة لحاضرنا أو مستقبلنا في إفريقيا، غير أنه يجب أن نختار التلاميذ بأنفسنا»[2].

وأقل ما نقوله عن هذه المواقف الفرنسية: إنما هي نموذج حي للإجحاف والتعصب إزاء الحضارة العربية الإسلامية عامةً واللغة العربية خاصةً في غرب إفريقيا.

وكان الطلبة الأفارقة الذين يريدون مزيدا من العلم، يتقدمون بطلبات إلى الإدارة الفرنسية قصد الترخيص لهم بالالتحاق بالجامعات الإسلامية، مثل: جامعة الأزهر أو الزيتونة، أو بالذهاب إلى شبه الجزيرة العربية لمواصلة دراستهم هناك، لكن الإدارة الفرنسية كانت تواجه هذه الطلبات بالرفض. ولكن هذا الرفض، لم يمنع بعضهم من الخروج من البلاد بطريقة أو بأخرى ويلتحق إما بجامعة الأزهر أو جامعة الزيتونة أو غيرهما، ثم يرجع إلى بلده بعد غياب طويل حاملا معه شهادة عليا في اللغة العربية تمكنه من التدريس هناك، وتجلب له الاحترام والهيبة بين ذويه ومجتمعه[3].

4- نظرة الكتاب الفرنسيين للإسلام ولغته:

وإلى جانب مواقف الإدارة الفرنسية من اللغة العربية التي ذكرناها عند بعض المؤلفين الفرنسيين إلى التنقيص من شأن اللغة العربية الأدبي والثقافي وإخفاء انتشارها في غرب إفريقيا، من ذلك كتب السيد لويس سونولي سنة 1913 يقول ما يلي[4]:

«. . . إنه إلى جانب التعليم الفرنسي في إفريقيا الغربية نجد تعليما آخر أكثر انتشارا من الأول، وهو التعليم في الكتاتيب القرآنية، وعدد تلاميذه يقدر

(1) يشير إلى إنشاء المدارس الفرنسية الإسلامية في السنغال.
(2) من هنا انبثقت فكرة إنشاء المدارس العربية الحكومية أو ما يسمى بالمعاهد الفرنسية الإسلامية.
(3) A. GOUILLY: P. 227.
(4) Louis SONOLET: L'A. O. F. C. A. N. Paris 1913 P.80.

بحوالى 35.000 تلميذ. وفي السنغال وحده تقدر عدد الكتاتيب القرآنية بثلاثمائة (300) كتاب. وفي السودان تقدر بما يقرب من 800 كتاب. أما في غينيا فقد يقدر عدد الكتاتيب بحوالي 1.200 كتاب، ولا داعي للفزع أمام هذه الأرقام... وهل يجب علينا أن نخاف عاقبة تعليم كهذا يعتمد على الإشارات، وفي غالب الأحيان يغادر التلاميذ الكتاتيب القرآنية وهم لا يدركون معانيها...».

وواضح من هذا الكلام أن السيد سونولي قد تجاهل تماما اللغة العربية من حيث قيمتها اللغوية والأدبية والعلمية. وهو أعلم الناس بذلك.

أما عن عدد الكتاتيب القرآنية خاصة في السنغال فالرقم الذي أعطاه السيد سونولي هو ثلاثمائة (300) كتاب. وهو إما أن يكون قد أعطاه عن عمد قصد التنقيص من شأن انتشار اللغة العربية في السنغال وإما أعطاه جهلا للإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية. وقد سبق أن ذكرنا بأن عدد الكتاتيب القرآنية في السنغال بلغ عام 1912 ما يقرب من 1.385 كتابا[1].

إذن عمدت الإدارة الفرنسية في السنغال إلى جميع الوسائل قصد إضعاف اللغة العربية في البلاد، منها اتخاذ قرارات مجحفة للحيلولة دون انتشارها بين الاوساط الإفريقية لكن جل هذه القرارات، إن لم نقل كلها بقيت حبراً على ورق، ولم تؤثر في تطور اللغة العربية باستثناء مدة قصيرة تتمثل في عام واحد، وهو عام 1904 الذي أصدر فيه في ريسون قراره المتعلق بتقليص عدد الكتاتيب القرآنية في السنغال[2]. وفي السنة التالية، أي سنة 1905 عرف برنامج وريسون الفشل مثل سابقيه وأظهر معلمو الكتاب مرة أخري صمودهم أمام التيارات المناوئة لهم فى السنغال.

* * *

(1) انظر جدول معلمي الكتاتيب القرآنية في السنغال لسنة 1912.

(2) انظر محتوى قرار وريسون ونتائجه فيما سيأتي.

الفصل الثالث

التبشير الحديث في إفريقيا

1 - أهداف التبشير ووسائله
2 - البعثات التبشيرية والتعليم
3 - التبشير والعائلة الإفريقية
4 - نتائج التبشير
5 - التقاء التبشير بالاستعمار

1- أهداف التبشير ووسائله:

كانت البعثات التبشيرية في الطليعة الأولى، في ميدان نشر الثقافة الغربية في إفريقيا حيث قامت هذه الأخيرة بنشاط كبير في ميدان التعليم(1)، غير أن الاحتلال الفرنسي اضطر أن يشرف على التعليم بنفسه دون أن يهمل مؤازرة البعثات التبشيرية، وجعل من التعليم وسيلة للتقرب بينه وبين الشعوب المستعمرة(2)، كما كانت الغاية من نشر هذا التعليم منافسة للدين الإسلامي(3) من جهة وانتشار اللغة العربية في إفريقيا الغربية من جهة أخرى.

لقد عرفت إفريقيا الديانة المسيحية خلال مرحلتها الأولى، ويبدو أن منطقة النيل كانت المنطلق الأول للمسيحية نحو غرب القارة، ذلك بعد أن توغلت هذه الديانة الأخيرة في مصر، وفولتا العليا، وإثيوبيا، ودامت هذه المرحلة حتى بداية القرون الوسطى، حيث لم تستطع المسيحية أن توقف هذا الزحف الإسلامي نحو السنغال وإفريقيا السوداء الغربية، ثم ظهرت المسيحية مرة أخرى خلال القرن الخامس عشر الميلادي في إفريقيا الغربية وتحت ثوب آخر يختلف شكلا ومضمونا عن المرحلة الأولى(4).

وتماشت المسيحية تبعا للاستعمار الأوربي في المنطقة(5). وعمد المبشرون إلى استعمال وسيلتين في غاية الخطورة، وذلك قصد تمسيح الأفارقة. والوسيلة

---

(1) Af. et Asie: 1/Tr. 1948 P. 15.

(2) د/ حسن احمد محمود: المرجع السابق ص 36-37.

(3) عـ/ فروخ: ص 74.

(4) Af. et Asie: 2/Tr. 1948 No 4 P. 6.

(5) Afribue et Asie: 2 Tr. 1948 No 4 P. 6.

الأولى تتمثل في الخدمات الطبية، حيث أنشأ المبشرون المستشفيات والعيادات، كما أنشأوا مئات المؤسسات الطبية الشيء الذي أدى إلى تنمية العلاقات بين المبشرين وأهل البلاد. أما الوسيلة الثانية فتتمثل في إنشاء المدارس المسيحية. وقد شهدت هذه المدارس إقبالا فائقا من قبل الزنوج الأفارقة، وفي مرحلتها الأولى سيطرت البعثات التبشيرية على ما يقرب من 85٪ من المدارس[1].

وقد يرجع الفضل إلى البعثات التبشيرية، في نشر الحضارة الأوروبية في إفريقيا حيث كرس الآباء البيض حياتهم لنشر المسيحية والحضارة الغربية في البلاد. وكان السنغال من حظ آباء روح القدس واهتم المبشرون في السنغال على الخصوص بالخدمات الاجتماعية والثقافية والصحية وكل الوسائل التي تقربهم من الأهالي السنغاليين[2]، وكانت البعثات التبشيرية قوية ماديا، وحظيت بالتشجيعات على مختلف أنواعها من قبل الأوروبية وكل من كان له مصالح في إفريقيا[3].

وتاريخ بعض البعثات التبشيرية مليء بالتضحيات، فقد قضت الأمراض المنتشرة في إفريقيا الغربية والأوبئة على كثير من عناصرها، ولم يثنهم ذلك عن هدفهم، وقد حل محلهم آخرون[4]. «وحذا بعضهم حذو القساوسة الأولين الذين عاصروا المسيح»[5]. وأبدوا إزاء الافارقة «عواطف إنسانية، ورغبة في مودتهم وصداقتهم»، وأظهروا الرجل الأبيض في ثوب آخر، خال من المادة وضروب الأنانية وحب النفس، وكثير منهم من كان يحسن اللغات الإفريقية، بل كان الآباء البيض أول من اهتم باللغات الإفريقية ودراستها قبل غيرهم[6].

وعمد المبشرون البيض على اختلاف مذاهبهم إلى استعمال كل الوسائل للحصول على إيمان الوثنيين الزنوج في السنغال. وأثارت قضية التمسيح خلافات

(1) د/ حسن أحمد محمود: ص 36-37.

(2) A. GOUILLY: P. 257.

(3) Infor. Catholique Internationales: No 71 1/5/58 P. 24.

(4) نعيم قداح: ص 193.

(5) KI-ZERBO: His. de l'Afrique Noire Paris 1965 p. 186.

(6) A. GOUILLY: P. 257.

ومنافسات شديدة بين المسيحيين الكاثوليك والبروتستانت[1]. وكانت هذه الخلافات عاملا من عوامل فشل التمسيح في السنغال، فبينما نجد المذهبين الكاثوليكي والبروتستنتي يتصارعان، فالإسلام يكون كتلة واحدة. ولهذا نفر الزنجي الوثني من المسيحية واتجه نحو الإسلام[2].

واستخدم التبشير كل الوسائل والأساليب منها التقليدية والعصرية لبلوغ أهدافه. وعمد التبشير في أول أمره في غرب إفريقيا إلى الاتصال بالأفراد وزعماء القبائل، ثم استعمل المبشرون وسائل عصرية، تتمثل خاصة في التمييز بين المسيحيين الزنوج وغيرهم من سكان البلاد، ويستغل التبشير الظروف الاجتماعية المتدهورة في القارة السمراء، ويتخذ من ذلك وسيلة للتقرب من أهل البلاد، فيقدم للأهالي الأفارقة الإعانات المادية[3]. ويفتح المدارس وينفق عليها ويشرف عليها بنفسه، وكان من الآباء البيض المعلم، والطبيب، والممرض، والمربي[4].

ويستعمل التبشير الصحف والإذاعات والكتب وغيرها من الوسائل. ودرس المبشرون الديانة الوثنية الإفريقية واستخدموها كوسيلة لغرس ديانتهم في نفوس الأهالي ونشرها بينهم[5].

وأدرك المبشرون مكانة اللغة العربية بين الأوساط الإفريقية فتعلموها، واستخدموها كوسيلة للتقرب من أهل البلاد؛ زيادة على اطلاعهم الواسع على تاريخ القارة وجغرافيتها وعاداتها وتقاليدها وكل ما يؤثر ويتأثر به الفرد الإفريقي[6].

---

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.(*)

(*) انظر تقرير الحاكم فالون بتاريخ 20 سبتمبر 1882 - ملحق.

(2) A. GOUILLY: P. 268.

(3) د/ عبد الحليم عويس: المسلمون في إفريقيا - مجلة الأصالة عدد 43/42 ص 60.

(4) A. GOUILLY: P. 257.

(5) د/ عبد الحليم عويس: المرجع نفسه.

(6) نعيم قداح: ص 194-195.

ولـم يحترم المبشرون البيض أبسط حقوق الإنسان في إفريقيا، بل عمد الرهبان البيض إلى استعمال القوة والإكراه في بعض الأحيان لتنصير السنغاليين مثلاً [1].

2- البعثات التبشيرية والتعليم:

كان التعليم ولا يزال الركيزة الأساسية التي يرتكز عليها التبشير؛ ولا نستطيع أن نتكلم عن التبشير في إفريقيا دون أن نتكلم عن المدرسة، فكلاهما لا ينفصل عن الآخر[2].

ويبدو أن التعليم التبشيري قد مر بعدة مراحل، فالمبشرون الأوائل الذين قدموا إلى السنغال كانوا على جهل تام بالبلاد وسكانها. واقتصرت مهمة هؤلاء المبشرين على التنصير المباشر[3]. وقد لاحظ المبشرون البيض بعد مدة أن التنصير المباشر لم يعط النتائج المرجوة[4]. فغيروا خطة عملهم، بعدما كان اهتمامهم الأول متجها نحو الكبار، اهتموا أكثر بالأطفال الصغار، لأنهم أكثر تقبلا لديانتهم، وحذا المبشرون في السنغال حذو الطرق الصوفية الإسلامية واشتروا العبيد وشرعوا في تكوينهم وتعليمهم.

وفتح المبشرون البيض ملاجئ للأيتام لنفس الغرض، لكن هذا العمل الذي قام به المبشرون قد أثار استياء الطبقات النبيلة، وأعيان البلاد فعدلوا عن هذا الاتجاه[5].

إذن لم يبق أمام المبشرين البيض إلا إقناع الآباء الأفارقة، لإرسال أبنائهم إلى

---

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.(*)

(*) انظر تقرير حاكم السنغال السيد فالون بتاريخ 19-9-1882 ملحق.

(2) J. BOUCHAUD: L'Eglise en Afrique Noire Paris 1958 P. 69.

(3) A. GOUILLY: P. 257.

(4) J. BOUCHAUD: P. 69.

(5) J. BOUCHAUD: P. 69-70.

المدارس التي يشرفون عليها. لكن سكان البلاد وقفوا موقفا سلبيا من هذه المدارس وأصحابها[1].

وتفهم الآباء البيض أنه «لابد من تكوين الرجل قبل تكوين المسيحي». وهذا هو الجسر الوحيد الذي تعبر عليه المسيحية إلى قلوب الأطفال الأفارقة. كما تفهموا بأن رفع مستوى الجماهير وتغيير بعض المفاهيم الاجتماعية التي توطدت في البلاد قبل دخول المسيحية، لايتأتيان إلا بواسطة التربية والتعليم[2]. لذلك كانت المدرسة المحور الرئيسي الذي كان يدور حوله النشاط التبشيري[3] في غرب إفريقيا. لكن مع مضي الوقت لاحظ الآباء البيض، أن النتائج التي حصلوا عليها هزيلة جدا بالنسبة للمجهودات التي بذلوها في هذا الميدان.

ويبدو أن سبب إخفاق المدارس التبشيرية راجع إلى أن التلاميذ بعد الانقطاع عن الدراسة يرجعون إلى ذويهم وآبائهم في الغابات وينسى هؤلاء الأطفال كل ما تعلموه. وفي بعض الأحيان يُكنّون الكره والحقد لمعلميهم ويبثون الدعايات ضدهم[4]. أما في مجال تعليم البنات فكانت النتائج التي حققها الآباء البيض أكثر سلبية بالنسبة للذكور[5].

وأمام هذه النتائج الهزيلة التي حققتها الأديرة المسيحية في مجال التعليم بواسطة المدرسة، أُعطيت الأولوية مرة أخرى للتمسيح المباشر، دون إلغاء المدارس، وفي هذه المرحلة ركّز الآباء البيض على التربية الدينية، التي كانت تدرس باللغات المحلية في السنغال[6]. ولكن هل يكفي هذا من أجل تمسيح الأفراد؟..

---

(1) يقول نعيم قداح نقلا عن السيد بيرنيز (A. PIERNEZ) المؤرخ الانجليزي من كتابه تاريخ نيجيريا ص 249 في مجال اشمئزاز الأفارقة من الأديرة المسيحية: «إن سكان هذه المناطق من الزنوج يخافون الإنسان الأبيض ويفزعون منه كما يفزع الإنسان من الحيوان المفترس...».

(2) J. BOUCHAUD: P. 70.

(3) ع.ا/ فروخ: ص 66.

(4) J. BOUCHAUD: PP. 70-82.

(5) انظر جدول تعليم البنات في السنغال بين سنتي 1903-1920.

(6) D. BOUCHE: P. 777.

3- التبشير والعائلة الإفريقية:

أدركت البعثات التبشيرية في إفريقيا بسرعة، بأن تمسيح الأفراد الأفارقة لا يكفي، بل يجب ترسيخ العادات والتقاليد المسيحية في المجتمعات. وهنا بدا لهم دور العائلة كدور حساس ذى أهمية كبيرة لنشر ديانتهم بين الأوساط الإفريقية، وتوطيد أركانها في البلاد[1].

إن إنشاء العائلة المسيحية الإفريقية بكل ما تحتويه هذه الكلمة من معان، يبقى المشكل الحساس الذي تعاني منه الكثير من البعثات التبشيرية في البلاد إلى يومنا هذا[2].

ولعل الشيء الذي حال دون تحقيق ذلك هو تصادم العقائد المسيحية بالعادات والتقاليد الإفريقية الموروثة[3]. زيادة على أن مفهوم الأسرة نفسه يختلف بالنسبة للسنغاليين والأوروبيين، فالمرأة مثلا في بعض المجتمعات الإفريقية تخضع لأبيها أو لأخيها الأكبر ولو بعد زواجها. وهي بنت أبيها قبل أن تكون أما لأطفالها. بل قبل أن تكون زوجة لزوجها، ومن ثم فالمرأة أحيانا تتطلق مؤقتا تنازلا لرغبة أبيها[4]، وأخيها الأكبر.

وبعد الزواج يبقى الزوجان يبديان تمسكا شديدا بأسرتيهما الأصليتين فالرجل يميل خاصة إلى إخوته. أما المرأة فتبقى دائما تابعة لأبيها. وتبعا للتقاليد الموروثة فالأطفال الذين تنجبهم من زوجها يتمون أكثر إلى إبيها أو إلى أخيها الأكبر منه إلى زوجها. كما أن شراء النساء، واستبدال العاقرات منهن بغيرهن، يبقون عائقا كبيرا أمام قيام أسرة مسيحية سنغالية على النمط الأوروبي المعروف[5].

والملاحظ هو أن جل الأفارقة المتنصرين مهما بلغوا من التطور والتحضر،

(1) Afrique et Asie: 1/Tr. 1948 P. 15.
(2) J. BOUCHAUD: P. 70 à 82.
(3) J.L. MONTEZER: P. 39.
(4) J. BOUCHAUD: PP. 84 à 86.
(5) Madha Banicar: Révolution Africaine - Beyrout - 1962- P. 33.

عندما يتعلق الأمر بالشئون العائلية، فهم يفكرون تفكيرا «عتيقا بدائيا». ومما سبق تتجلى أهمية المرأة والدور الخطير الذي تلعبه في المجتمع[1]. وأدركت البعثات التبشيرية هذه الأهمية وعملت كل ما في وسعها لنشر التعليم الفرنسي وجذب البنات الإفريقيات إلى أديرتها ولكن بدون جدوى[2]. حيث نجد بنتا واحدة من بين خمسة أو ستة أطفال في هذه الأديرة[3].

ويبدو أن سبب عدم التحاق البنات بالمدارس الفرنسية العمومية أو التبشيرية إما أن يكون اقتصاديا، لأن البنت تقدم خدمات كثيرة لأمها في المنزل أو في القرية، وبالتالي تمنع من الذهاب إلى المدرسة[4]، لأن التعليم في نظر الأفارقة يحضر البنت في فترة متقدمة من سنها جنسيا الشيء الذى يؤدي إلى اختلال التوازن في تصرفاتها وتربيتها وتفقد البنت المهمة التي أنيطت بها منذ الأزمنة القديمة كزوجة إفريقية أصيلة[5].

4- نتائج التبشير:

ولكن هل نجحت البعثات التبشيرية في أداء مهمتها التعليمية والثقافية في السنغال؟

إن حركة التبشير بين الوثنيين الأفارقة لم تنجح ذلك النجاح المنشود الذى ينتظره أصحابها، فبعد أن استغرقت أكثر من نصف قرن من الزمن، لم تتعد نسبة المتمسحين 10٪ من سكان القارة، وهو نجاح ضئيل إذا قيس بمقياس الجهود التي بذلت[6].

ونستطيع تلخيص أسباب هذا الإخفاق فيما يلي[7]..

---

(1) J. BOUCHAUD: PP. 88-89.

(2) انظر جدول تعليم البنات في السنغال بين سنتي 1920/1903.

(3) J. BOUCHAUD: opjcit; P. 90.

(4) D. BOUCHE: P. 77.

(5) J. BOUCHAUD:ophcit; PP. 89-90.

(6) V. MONTEUIL: L'Islam en Marche- Le Monde- 14. 6. 1960.

(7) حسن احمد محمود: ص 39 - 41.

1- إدراك أهل البلاد لانقسام المبشرين البيض على أنفسهم، والعداء الذي يكنه كل طرف للآخر.

2 - الاختلافات المذهبية، وانقسام المبشرين أنفسهم إلى بروتستانت وكاثوليك وانتقال الصراع من أوروبا إلى إفريقيا.

3 - اختلاف لغة التبشير والتعليم باختلاف الدول المستعمرة.

4 - اضطراب مناهج المبشرين ووسائلهم، فريق يقف من الثقافة الإفريقية موقفا سلبيا والآخر العكس.

5 - تناقض الرهبان البيض بين المثالية والواقع.

إضافة إلى أن المسيحية حملت إلى الإفريقي على أنها دين الأسياد، والمسيحية التي يتعلمها توحي إليه أنه أحط منزلة من معلمه وأكثر خضوعا له. والأدب المسيحي نفسه يكره الزنوج ويحط من قدرهم.

وفوق ذا وذاك ارتبطت المسيحية بالحضارة الأوروبية؛ وفرضت على الإفريقيين نزعة مادية معينة تتناقض مع سمو المسيحية وروحانيتها[1].

ويرجع بعض المؤلفين الأوروبيين سبب إخفاق البعثات التبشيرية في ميدان التعليم، إلى الأخطاء التي ارتكبت في هذا الميدان، وذلك مثل عدم وجود برامج تتلاءم مع الواقع الإفريقي، وتوفير الأساتذة الأكفاء، فضلاً عن أن التعليم كان ميكانيكياً. وأحياناً يكلف بهذه المهمة أفارقة تنقصهم الخبرة المهنية، وينصب هؤلاء بدون تكوين ثقافي، ولعل الأهم من هذا كله هو ندرة المدارس[2].

أما المدارس القليلة التي كانت موجودة، فلا يذهب إليها إلا عدد ضئيل من الأطفال[3].

---

(1) نعيم قداح: ص 198.

(2) J. BOUCHAUD: PP. 88-89.

(3) J.L. MONTEZER: P. 39.

وإلى جانب النتائج السلبية التي حققها التعليم التبشيري في السنغال، ترك آثارا سيئة في جميع الجوانب الاجتماعية، ففى الميدان الاقتصادى ترك الإفريقيون وسائلهم التقليدية لكسب معيشتهم. ولم يستطع النظام الجديد أن يعوضهم عنها بشيء آخر. والمفروض أن التعليم الذى رسمه الأوروبيون للأفارقة كاف لجعلهم يتلاءمون مع الحياة الجديدة[1]، غير أن التعليم الفرنسي في البلاد يفقد الناس صفتهم الإفريقية ويجعلهم فرنسيين؛ زيادة على أن هذا التعليم لا يهيئ الفرص التدريبية المهنية إلا لعدد محدود من أهل البلاد[2].

وترك التعليم التبشيري أيضا آثاراً سيئةً في الناحية الدينية، لأن الأفارقة الذين تمسحوا أدركوا أن الأوربيين أنفسهم لا يطبقون مبادئ المسيحية[3]. فضلا عن أن المبشرين لا يحترمون عادات وتقاليد البلاد الموروثة[4].

وفي الناحية الاجتماعية ترك التعليم أسوأ الأثر، إذ قطع صلة الأفارقة بماضيهم واضطربت نظم الأسرة وازدادت مشاكلها وتعقدت[5]. واعتنى التعليم التبشيري بالرجل وترك المرأة على حالها، الشيء الذى خلق هوةً كبيرةً بينها وبين الرجل، وقل إقبال المتعلمين من الرجال على الزواج بالنساء غير المتعلمات وخاصة منهم المتنصرين[6].

5- التقاء التبشير بالاستعمار:

عندما تنازلت بريطانيا عن مراكزها التجارية في السنغال لصالح فرنسا، وذلك بمقتضى معاهدة سنة 1816م، لم يكن هناك أي تعليم يذكر في البلاد سوى التعليم التقليدى العربي المتمثل في الكتاتيب القرآنية[7].

(1) حسن احمد محمود: ص 38-39.

(2) Madha Banicar: P. 33.

(3) A. GOUILLY: P. 257.

(4) نعيم قداح: ص 193.

(5) حسن أحمد محمود: ص 38-39.

(6) BOUCHAUD: PP. 89-90.

(7) G. HARDY: L'Ens. au Senegal Paris 1920 P. 38.

وفي نفس السنة سارع وزير البحرية الفرنسية الذي كان يشرف آنذاك على مستعمرات ما وراء البحار، سارع لتعيين الكولونيل شيمالتز (SCHMALTS) كحاكم عام لإفريقيا الغربية والتحق هذا الأخير بمنصبه الجديد يوم 17 يونيو 1816[1].

وكان المطلوب من الكولونيل شمالتز (SCHMALTS) أن يستعيد الأراضي التي نصت عليها معاهدة باريس التي أبرمت بين الحكومة الفرنسية من جهة، والحكومة البريطانية من جهة أخرى بتاريخ 20 نوفمبر 1815 وذلك حسب خطة استعمارية مرسومة. وكان على شمالتز أن يدرس كيفية التوسع الاستعماري الفرنسي في إفريقيا الغربية؛ وأن يعمل على تعزيز العلاقات التجارية بين السنغال وباقي بلدان إفريقيا الغربية من جهة وفرنسا من جهة أخرى[2].

كما طُلب من شمالتز (SCHMALTS) أن يضع الدعائم الأولى لنشر الحضارة الغربية في المنطقة وأن يسهر على ترسيخها بين أهل البلاد، وذلك بتشجيع وتدعيم عملية التبشير في السنغال، على الخصوص وأن يهيئ بكل الوسائل المتوفرة لديه الأهالي السنغاليين للتمسيح[3].

والملاحظ هو أن التعليمات الأولى التي أعطيت للكولونيل شمالتز لم تتطرق إلى قضية التعليم في السنغال وفي باقي أقطار إفريقيا الغربية، غير أنه لم تمض سنة واحدة على تعيينه حتى سارع وزير البحرية إلى إصدار برنامج تأسيس مدرسة ابتدائية في السنغال تسهيلا لعملية التبشير ومهمة التبشير. وفي 30 يناير 1817 عُزز هذا البرنامج بمنشور وزاري ينص على طريقة التعليم التي يجب أن تسير عليها هذه المدرسة خاصةً، والتعليم في السنغال عامةً. وفي افتتاح الموسم الدراسي لسنة 1817-1818 وصل أول معلم فرنسي للسنغال[4].

(1) J. GAUCHER: Les débuts de l'Enseignement en Af. Paris. 1968 PP 17-19.

(2) J. GAUCHER: PP. 17-19.

(3) J. GAUCHER: Même Pages.

(4) وصل أول معلم إلى السنغال بتاريخ 9. أكتوبر. 1817 وقد نزل في مدينة قوري. «وهو السيد: جان دار (J. DAR) وكان عمره 27 سنة، أعزب من عائلة متوسطة تقطن بجنوب فرنسا».

وكانت أول مدرسة حكومية فرنسية فتحت أبوابها للتلاميذ السنغاليين في مدينة سان لويس بالسنغال يوم 7 مارس 1817[1].

ولجأ المعلمون الفرنسيون إلى استعمال كل الوسائل الناجحة لنشر لغتهم بين الأوساط السنغالية، ومن ذلك فإنهم أنشأوا المدرسة الوولوفية ـ الفرنسية. وتنحصر مهمة هذه المدرسة في تعليم الفرنسية بواسطة اللغة الوولوفية المحلية. وعلى ما يبدو فهذه الطريقة قد نجحت في أول أمرها، وأعطت ثمارها بسرعة فائقة[2].

وبعد مدة من الزمن، اتجهت الحكومة الفرنسية نحو هدف آخر أكثر فاعليةً لنشر لغتها بين الأطفال السنغاليين، وأنشأت مدارس من طراز خاص، قصد بلوغ أهدافها السياسية التي رسمتها للبلاد، من ذلك أنها أنشأت مدرسة الرهائن (Ec. des Otages)؛ وتنحصر هذه المدرسة في تعليم أبناء رؤساء القبائل الذين وقفوا موقفا سياسيا مناوئا من الغزو الفرنسي للبلاد[3].

وقد أنشئت مدرسة الرهائن هذه في سنة 1855م، وزودت بنظام داخلي وكل مستلزمات الحياة المدرسية التي يتطلبها هذا النظام الأخير.

والتعليم كان فيها مجاناً. وأعطيت الأولوية في هذه المدرسة للغة الفرنسية على وجه الخصوص[4].

وفي ظرف خمس عشرة سنة كونت مدرسة الرهائن هذه، ما يقرب من ثلاث وثلاثمائة (303) طالبٍ سنغاليٍّ في اختصاصات مختلفة. من بينهم أحد عشر (11) طالبا عينوا كرؤساء دوائر، وتسعة (9) منهم عينوا كمترجمين في مصالح الإدارة الفرنسية. والتحق اثنان من هؤلاء الطلبة بالجيش الفرنسي برتبة ضابط.

---

(1) G. HARDY: L'Enseignement au Senegal P. 38.

(2) J. GAUCHER: P. 23.

(3) G. BRASSEUR: l'A. O. F. I. FA. N. 1957 P. 57.

(4) D. BOUCHE: P. 266.

أما ما تبقى من الطلبة الذين تخرجوا من المدرسة المذكورة فقد وجهوا إلى ذلك التعليم أو الإدارة[1].

وبقي هؤلاء الطلبة المتخرجون من مدرسة الرهائن يساندون بكل قواهم الحضارة الغربية عامة، وسياسة فرنسا الاستعمارية في البلاد خاصة[2].

وكان سبب إنشاء مدرسة الرهائن هذه سياسياً، شأنها شأن بعض المؤسسات الفرنسية التي أنشئت خصيصا لهذا الغرض. وعلى غرار مدرسة الرهائن السابقة أنشأت الإدارة الفرنسية في السنغال مدرسة بنات رؤساء القبائل[3]. التي لا تختلف في شيء عن سابقتها، إلا في كونها أنها تختص بتعليم البنات.

وزيادة على أن مدرسة بنات القبائل هذه قد أنشئت لأغراض سياسية معينة فإنها تسهل اتصال الإدارة الفرنسية بأعيان البلاد والعائلات الكبيرة المؤثرة على الحياة الاجتماعية والسياسية في السنغال[4].

وتتمتع تلميذات هذه المدرسة بالنظام الداخلي مجانًا، زيادة على أن المدرسة توفر لهؤلاء التلاميذات الملابس الأنيقة ووسائل النظافة من غسل وكي للملابس وغيرها، ولكن رغم هذا كله فبعض العائلات السنغالية تحفظت في إرسال بناتها إلى هذه المدرسة[5].

وبعد وقت من الزمن اتضحت لدى الإدارة الفرنسية ضرورة تطوير التعليم الفرنسي في السنغال؛ حسب الطرق المعمول بها في فرنسا نفسها. وتم فتح كثير من المدارس الابتدائية في المراكز الآهلة بالسكان في البلاد. وتدريجياً أنشئت المؤسسات التعليمية على مختلف أنواعها في السنغال. منها مدارس تقنية وتطبيقية

---

(1) D. BOUCHE: Même: Page.

(2) D. BOUCHE: Même: Page.

(3) L. SONOLET: P. 78.

(4) L. SONOLET: P. 74 à 80.

(5) L. SONOLET: Même: Pages.

مثل مدرسة وليام بونتي التي كونت كثيرا من الموظفين الإداريين والمعلمين الأوائل في البلاد[1].

أما برامج التعليم في هذه المدارس التي أنشئت في السنغال، فهي لا تخرج عن نطاق البرامج التعليمية الموجودة في فرنسا نفسها، وكل ما تختلف فيه البرامج الأولى عن الثانية هو أن وسائل الإيضاح في المرحلة الابتدائية تتلاءم نسبيا مع الواقع السنغالي[2].

وقد بلغ عدد المدارس الفرنسية في إفريقيا الغربية ما يقرب من 190 مدرسة موزعة كالتالي عبر المنطقة[3]:

41 مدرسة في السنغال

61 مدرسة في السنغال الأعلى ونيجيريا

31 مدرسة في غينيا

43 مدرسة في ساحل العاج

23 مدرسة في الداهومي

ومدرسة واحدة في موريتانيا

وقد يلتحق بهذه المدارس ما يقرب من 11.166 تلميذا[4].

وإذا قارنا عدد تلاميذ المدارس الفرنسية في المنطقة بعدد تلاميذ المدارس العربية، يبدو الفرق شاسعا بين التعليمين العربي والفرنسي[5].

ويبدو تفوق التعليم العربي على التعليم الفرنسي واضحا وذلك حتى نهاية

---

(1) G. BRASSEUR: PP. 57 à 58.

(2) D. BOUCHE: P. 266.

(3) L. SONOLET: PP 74 à 80.

(4) L. SONOLET: Même pages.

(5) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاب في إفريقيا الغربية.

سنة 1912، حيث بلغ عدد تلاميذ التعليم العربي في إفريقيا الغربية في نهاية سنة 1909، ما يقرب من 54.386 تلميذاً[1]. بينما لم يبلغ عدد تلاميذ التعليم الفرنسي في المنطقة خلال سنة 1911 ما يقرب من 11.166 تلميذاً فقط[2].

إذن يمكن القول بأن التعليم العربي في غرب إفريقيا قد ظل متفوقا على التعليم الفرنسي خلال العهد الاستعماري للبلاد، وذلك حتى سنة 1912م.

لكن الإدارة الفرنسية سوف لا تبقى مكتوفة الأيدي أمام هذه الوضعية؛ وستبادر بإصدار قانون يدفع بالأهالي السنغاليين إلى أحضان المدارس الفرنسية، وبما أنه ليس هناك قانون ينص على إجبارية التعليم الفرنسي في البلاد، فقد اكتفت الإدارة الفرنسية بعدم توظيف أي شخص من الأهالي الأفارقة لا يحسن القراءة والكتابة بلغتها. وبواسطة هذا القرار سيرتفع باضطراد في المستقبل عدد تلاميذ المدارس الحكومية الفرنسية في البلاد[3].

خاصة بعدما يتخرج هؤلاء التلاميذ من المدارس الفرنسية ويبرهنون لمجتمعاتهم أنهم قادرون على كسب معيشتهم بكرامة ودون مشقة كبرى، وذلك على عكس زملائهم الذين لم يتعلموا قط، واقتصر تعليمهم على اللغة العربية[4].

ويحدد بعضهم أهمية التعليم الفرنسي والثقافة الفرنسية بالنسبة للفرد السنغالي، وما يمكن أن تترتب عنهما من نتائج لصالح الاستعمار الفرنسي في البلاد كما يلي[5]:

«. . . إن القيمة الاقتصادية للفرد المستهلك أو المنتج تزداد كلما ازداد هذا الأخير وتقدم ثقافيا، سواء كان هذا الفرد زنجيا أو أبيض، وأحسن طريقة بالنسبة إلينا هي أن نهيئ هؤلاء الزنوج ثقافيا، وذلك لخدمة أراضيهم بأنفسهم، وبالتالي

(1) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاب في إفريقيا الغربية ومن بينها السنغال.

(2) L. SONOLET: PP 74 à 80.

(3) G. HARDY: Une Con. Mor. L'Enseignement en A. O. F. P. 157.

(4) G. HARDY: Une Conquêtte Mor. L'Ens. en A. O. F. P. 157.

(5) L. SONOLET: P. 80.

يصبحون بالنسبة إلينا من أحسن الأعوان.. وهل هناك رابطة أقوى من المدرسة بيننا وبين هؤلاء الزنوج..؟ فبواسطة المدرسة يعرفنا الزنجي ويتعلم آراءنا، وطرق الوقاية الصحية، والحياة السعيدة، وعمله يكون أحسن إنتاجا، كما أنه يساعدنا أحسن لنجعل من بلده (بلدا سعيدا وغنيا)..».

لقد أدركت الحكومة الفرنسية الدور الهام الذى تلعبه المدرسة لضمان مصالحها في مستعمراتها بغرب إفريقيا، لذلك لم تطمئن هذه الأخيرة للنتائج التي حققت في ميدان التعليم وذلك حتى سنة 1829م، الشيء الذي أدى بها إلى الإلحاح على مسئولي التربية والتعليم في السنغال، أن يبذلوا المزيد من المجهودات لتطوير قطاع التعليم الفرنسي في البلاد. ولجأت الحكومة الفرنسية إلى اختيار الرجال الأكفاء لتطوير قطاع التعليم في السنغال. وفي هذا الصدد عينت السيد بلان[1] (Balan)؛ وقد أبدى هذا الأخير كفاءة عالية ورغبة قوية في تطوير قطاع التعليم الفرنسي بالسنغال، لكنه مرض واضطر لأن يغادر البلاد ويعود إلى فرنسا[2].

وعمدت الحكومة الفرنسية إلى أستعمال كل الوسائل لتلقيح حضارتها للأطفال السنغاليين ونشر لغتها بينهم، ومن ذلك أن بعضهم[3] قد اقترح أن ينقل الأطفال السنغاليين من بلادهم إلى فرنسا حيث يتم تعليمهم وتكوينهم، ثم يعودون إلى بلادهم لمباشرة عملهم هناك[4].

ونفذت هذه الفكرة، ونقل عدد من الأطفال السنغاليين إلى فرنسا[1]. لكن

(1) قدم السيد بلان إلى السنغال سنة 1830، وهو أستاذ قديم في المدرسة العسكرية بفرنسا وقد اشتهر بكفاءته التعليمية وحسن تدبيره.

(2) D. BOUCHE: P. 157.

(3) اقترحت الفكرة السيدة جافوهي (JAVOUHEY) إحدى الرهبانيات البيض وقدمت بنفسها إلى السنغال خصيصا لدراسة وضع التعليم في البلاد.

(4) D. BOUCHE: P. 705.

جلّهم لم يأنس إلى هذه الهجرة المفاجئة، وكادوا أن يعودوا كلهم إلى بلدهم ماعدا ثلاثة منهم، الذين استطاعوا إتمام تعليمهم حتى المرحلة الثانوية، ثم عينوا قساوسة، بعد فترة تدريبية في السنغال. وعين كل واحد منهم في ناحيته الأصلية، أي مسقط رأسه(2).

وبعد محاولات شتى لإنقاذ وضع التعليم المتدهور في السنغال، لجأت الحكومة الفرنسية إلى طلب المساعدة من الرهبان البيض الفرنسيين، وطلبت من الرهبان البيض بلويرمال (Ies frér. PLOERMELL) أن يأخذوا على عاتقهم مهمة التعليم الفرنسي في السنغال. ولبّى هؤلاء نداء حكومتهم وقَدِموا إلى السنغال في سنة 1841م(3).

وقد اهتم الرهبان البيض بالتعليم التقني في أول الأمر وتنظيم التعليم الفلاحي، والمهني، والمهن الصناعية. ثم اهتموا بالتعليم العمومي، وعملوا كل ما في وسعهم لتطويره ونشره بين السنغاليين(4).

وعمد الإخوة بلويرمال في السنغال إلى استعمال كل الوسائل لجلب التلاميذ السنغاليين إلى أديرتهم قصد تمسيحهم، منها القانونية وغير القانونية.

وفي هذا المجال تذكر الوثائق تمسيح ابن مواطن مسلم من سكان مدينة سان لويس رغم أنفه(5). وهو ابن السيد ماكا قارور (Maka GARWER)، الذي استاءَ لهذا العمل، الذي أقدم عليه أحد الرهبان البيض المسمى القس أوتيم

---

(1) «السيدة جافوهي صاحبة فكرة نقل الأطفال السنغاليين إلى فرنسا، وهي التي صاحبت بنفسها الأطفال المنقولين من السنغال إلى فرنسا وسهرت على تكوينهم هناك: دينيا وثقافيا».

(2) D. BOUCHE: P. 705.

(3) D. BOUCHE: Mâme page.

(4) A. GOUILLY: P. 258.

(5) ARCHIVES / S. O. M. Paris - Dosssier SENEGAL No 10.

- انظر قرار حاكم السنغال فالون بتاريخ 20-9-1882 ـ ملحق.

وقد رفع السيد قاروير شكوى لحاكم السنغال، الذي (le Frér. ETHYME) أحالها بدوره إلى وزير المستعمرات السيد رومان ديفوس (R. DESFOSSES)، الذي نظر في القضية[1]. ويبدو أن الوزير لم يشاطر الراهب الأبيض الرأي، فيما يخص العمل الذى أقدم عليه[2].

* * *

(1) «عرض السيد رومان ديفوس وزير مستعمرات فرنسا الراهب أوتيم براهب آخر يدعى "إتيان مري" وقد أوصاه أن يكون لبقا في أداء رسالته وأن يتفادى استعمال العنف في تمسيح الأطفال السنغاليين...».

(2) G. HARDY: Une Conquêtte Mor. L'Ens. en A. O. F. P. 49.

الفصل الرابع

مواقف الإدارة الفرنسية من لغة القرآن الكريم

1 - اللغة العربية وتعليم اللغة الفرنسية

2 - كساد التعليم الفرنسي واتخاذ اللغة العربية وسيلة لإصلاحه

3 - فشل محاولات خنق التعليم العربي

كانت المستعمرات الفرنسية في إفريقيا الغربية في سنة 1854 تشمل جزيرة غوري وبعض المناطق التابعة لها، مثل: ريفيسك، وجوال، وبورتيدال، وسان لويس، وبعض النقاط التجارية على نهر السنغال. أما في سان لويس فكان الفرنسيون يدفعون ضريبة سنوية للقبائل الموريطانية. واستمر الوضع كذلك حتى عهد فيديرب[1]. الذي قضى نهائيا على دفع الضريبة للقبائل الموريطانية في السنغال بواسطة حملاته العسكرية التي شنها على القبائل المذكورة[2].

ويعتبر فيديرب أول فرنسي سيطر على الأحداث السياسية المحلية في السنغال، وذلك منذ بداية سنة 1854م. وكانت التوسعات العسكرية التي قام بها في إفريقيا الغربية انطلاقا من السنغال، قد شكلت خطوة هامة في ميدان السيطرة الفرنسية على المنطقة. وتوسعات فيديرب هذه أخضعت مناطق واسعة في إفريقيا الغربية للنفوذ الفرنسي المباشر[3].

وقد قدر فيديرب نفسه عدد سكان إفريقيا الغربية الذين كانوا يخضعون لنفوذ الإدارة الفرنسية في سنة 1856 بما يقرب من 50.000 نسمة[4].

وفي ظرف عشر سنوات استطاع فيديرب أن يفرض سيطرته التامة على السنغال، وأن يكوّن جيشا[5] من الأهالي السنغاليين لمحاربة زعماء المقاومة في المنطقة. وقد

---

(1) FAIDHERBE Louis Léon César. (*)

(*) «ولد فيديرب في مدينة ليل يوم 3 يونيو 1818 وتوفي في باريس يوم 29 سبتمبر 1889 م».

(2) WILLIAM B. COHEN: Empereurs sans sceptre Paris 1973 P. 22.

(3) WILLIAM B. COHEN: PP 23 - 24.

(4) ABCHIVES: S. O. M. Paris Dossier SENEGAL No 10.(*)

(*) انظر تقرير فيديرب بتاريخ 9 يولية 1856 ـ ملحق.

(5) أنشئ هذا الجيش بقرار 21 - 7 - 1857 وقد كان يتكون من ست كتائب في سنة 1861.

لعب هذا الجيش الذي أنشأه فيديرب دورا حاسما في إخضاع مناطق واسعة للنفوذ الفرنسي[1].

وإلى جانب النشاط السياسي والعسكري الذي قام به فيديرب في المنطقة، فقد وضع الركيزة الأولى للتعليم الفرنسي في السنغال، حيث أسس سنة 1855 مدرسة الرهائن، التي تختص بتعليم أبناء رؤساء القبائل المناوئين للاحتلال الفرنسي في البلاد، وقد كونت هذه المدرسة في ظرف 15 خمس عشرة سنة ما يقرب من 100 إطار سنغالى من الدرجة الثانية[2]. كما فتح مدرسة ملائكية ابتدائية إلى جانب المدرسة التي كانت موجودة قبل مجيئه إلى السنغال. وبقيت المدرسة هذه الوحيدة من نوعها لعدة سنوات في البلاد[3].

وقد ازداد اهتمام الإدارة الفرنسية بميدان التعليم بعد فيديرب، وأنشأت مؤسسات تعليمية عديدة في بعض المراكز الهامة في السنغال، وغيره من المستعمرات الفرنسية في إفريقيا الغربية[4]. غير أن التعليم الفرنسي في المنطقة لم ير تطورا مثل الذي رآه في عهد الجمهورية الثالثة، بحيث أنشئت المدارس في كامل المراكز الكبرى للسنغال، وذلك قصد تكوين الأهالي السنغاليين للوظائف الإدارية ووظائف الترجمة على جميع مستوياتها. وخلال هذه المرحلة يبدو أن الإدارة الفرنسية قد قررت فتح أبواب مدارسها لكل السنغاليين، دون أي تمييز طبقي أو عنصري[5].

ويبدو أن سبب انتشار التعليم النسبي في عهد فيديرب يرجع أساساً إلى أنه فصّله عن الدين؛ ذلك لأن الآباء البيض لم يتمكنوا من الاقتراب روحياً وثقافياً

(1) DELAVIGNETTE: Les techniciens de la colo. VENDOME/ 1945/P 87.

(2) DELAVIGNETTE: P. 87.

(3) A. GOUILLY: P. 129.

(4) فتح الكولونيل قاليني (GALIENI) بعد توليه إدارة السنغال مدرسة باكال (BAKEL)، وكايس (KAYES)، ومدين (MEDINE)، وبافولا بي (BAFOULABE)، وكيتا (KYTA) وغيرها.

(5) A. GOUILLY: P. 129 et suite.

من الفرد الإفريقي بسبب تعصبهم الديني من جهة، وربط التعليم بالدين من جهة أخرى، إضافة إلى التعصب الاجتماعي الذي كانوا يبدونه في شتى الميادين، والمناسبات العديدة[1].

وعلى الرغم من ذلك وقف بعض الكتّاب موقفاً متشائماً من سياسة السيد فيديرب في إفريقيا وأعتبروها مرنة كثيرا إزاء قضية الدين الإسلامي والتعليم العربي في البلاد. ولقد ندد هؤلاء بسياسة هذا الأخير في أكثر من مناسبة[2].

وفي الواقع فإن الحقيقة ليست كما يدعي المؤلفون الفرنسيون، لأن سياسة فيديرب في السنغال كانت تهدف بالدرجة الأولى إلى فرض التعليم الفرنسي وترقيته بين الأوساط السنغالية وذلك على حساب التعليم العربي[3]. الشيء الذى سيتضح جليا في قرار 22 يونيه 1857 الذي أصدره فيديرب، والذي ستتبعه قرارات أخرى تأتي لتنظم أحسن فأحسن التعليم الفرنسي بصفة خاصة في السنغال، والمساعي الاستعمارية الفرنسية لضرب لغة القرآن في غرب إفريقيا.

قرار 22 يونيو 1857 :

أصدرت الإدارة الفرنسية قرار 22 يونيو 1857 تحت عنوان: (إصلاح التعليم في الكتاتيب القرآنية) غير أن محتوى هذا القرار الأخير كما سيأتي يتناقض تماما مع عنوانه.

ويمكننا أن نلخص قرار فيديرب هذا كما يلي[4]:

1- نص القرار على أنه ابتداءً من تاريخ صدوره، لا يستطيع أي شخص أن يباشر مهنة التعليم في الكتاتيب القرآنية في السنغال بدون ترخيص خاص يمنح له من طرف الحاكم العام للبلاد نفسه. ولكي يتحصل المترشح لمهنة

(1) D. BOUCHE: P. 279 et suite.

(2) A. GOUILLY: P. 135.

(3) انظر في هذا الصدد كذلك قرارات حكام السنغال: فالير (VALIERE) وماتيفير (MATHIVER) وجوبير (JOUBER) وقي ريسون (GUY - RISSON).

(4) D. BOUCHE: P. 290 et suite.

التعليم في الكتاب على هذه الرخصة يجب أن تتوفر فيه بعض الشروط، وأن يخضع لبعض المقاييس. وفيما يخص مثلا مدينة سان لويس تمنح رخص التعليم في الكتاتيب القرآنية للأشخاص المترشحين لهذه المهنة، والذين هم أصلاً من سان لويس نفسها، أو يكونوا قد أقاموا بها مدة من الزمن لا تقل عن سبع سنوات.

2- لا يتحصل أي شخص مترشح للتعليم في الكتاتيب على رخصة تفوض له مباشرة عمله، إلا إذا توفرت فيه شروط ثقافية ومهنية معينة، وذلك بعد أن يمتحن المترشح من قبل لجنة خاصة، تتكون من شيخ البلدية، وشخصية دينية إسلامية، ومواطن سنغالي مثقف ثقافة عربية عالية.

3- على كل مترشح للتعليم في الكتاتيب أن يصاحب طلبه بشهادة تثبت حسن سيرته وأخلاقه[1]، تسلم له من طرف شيخ البلدية التي يسكن فيها؛ ولا تسلم هذه الشهادة إلا بعد تحريات دقيقة تقوم بها مصالح البلدية المعنية بالأمر.

4- وقد نص القرار على أن «اللجنة الثقافية ـ البيداغوجية» التي تمتحن المترشحين لمهنة التعليم في الكتاتيب القرآنية، هي التي تتولى مراقبة الكتاب في السنغال وتفتيشها من حين لآخر.

5- وبموجب قرار يونيه 1857 أصبح لزاما على كل معلمي الكتاتيب القرآنية أن يبعثوا شهريا بقائمة تلاميذهم إلى الإدارة الفرنسية المعنية بالأمر[2].

6- أما المادة رقم خمسة من نفس القرار، فقد تنص على أنه لزاماً على كل معلمي الكتاتيب القرآنية أن يرسلوا تلاميذهم الذين بلغوا سن الثانية عشرة

---

(1) والمقصود بذلك هو السلوك السياسي للمترشح وموقفه من الاحتلال الفرنسي للبلاد.

(2) والهدف من بعث القوائم هو تسهيل المراقبة عند الحاجة وضبط الإحصاءات لإدراك أهمية الكتاب في البلاد، إن كانت هذه موجودة.

أو أكثر إلى الدروس الفرنسية المسائية، التي تقوم بها مدارس الرهبان البيض أو المدارس الملائكية[1].

7- وقف قرار فيديرب من الازدواجية في الكتاتيب القرآنية موقفاً سلبياً، ومنعها منعاً باتاً. كما أنه نص على أن يكتب على مدخل كل الكتاتيب العبارة التالية: «مدرسة عربية»، وذلك ليسهل التعرف عليها وإحصائها بدون عناء.

8- وأخيراً يشير القرار إلى أن مهنة التعليم في الكتاتيب القرآنية يستطيع الرجل، كما تستطيع المرأة ممارستها، شريطة أن تتوفر في هذه الأخيرة الشروط المطلوبة وأن تمتثل لبنود القرار المذكور.

إن سياسة السيد فيديرب إزاء التعليم العربي في السنغال تتضح جلية من خلال قراره الذي أصدره بتاريخ 22 يونيو 1857، ومن خلال سرد بنود القرار الأخير. تتضح سياسة صاحبه، التي كانت تخدم بالدرجة الأولى المصالح الفرنسية في السنغال دون سواها. ولم يعدل السيد فيديرب قط عن الخط السياسي الذي رسمته فرنسا لنفسها في البلاد، وذلك عكس ما يدعيه بعض المؤلفين الفرنسيين[2].

ومهما يكن من أمر، فالفضل يرجع إلى السيد فيديرب في إرساء قواعد التعليم الفرنسي في السنغال. وقد اتخذ التعليم الفرنسي في عهده صبغة خاصة تميزت بالجدّية في ميدان العمل، وفتح المدارس الملائكية الفرنسية، ذلك لأن السيد فيديرب على ما يبدو لم يَرْتَح لاحتكار البعثات التبشيرية الفرنسية لقطاع التعليم في البلاد من جهة، وفتور هذا القطاع الأخير من جهة أخرى، الذي كان مدمجا كليا في الدين وتوجهه الكنيسة حسب اتجاهاتها وطموحاتها السياسية الخاصة بها[3].

(1) لجأت الإدارة الفرنسية إلى هذا القرار لجذب الأطفال السنغاليين إلى مدارسها، في وقت تدهور التعليم بها.

(2) انظر الفونس غوي: ص 135 وما بعدها.

(3) G. HARDY: L'Enseignement au Senegal (thèse) P. 266.

وفي الحقيقة فإن فكرة فصل التعليم عن الدين، إنما هي وسيلة اتخذها فيديرب لجذب الأطفال السنغاليين وخاصةً منهم المسلمين إلى المدارس الفرنسية[1]. وقد اتخذ فيديرب الكتاتيب القرآنية هي الأخرى كوسيلة للتقرب من الأهالي السنغاليين المسلمين وذلك لجعلهم يلتحقون بالمدارس الحكومية الفرنسية[2]. علماً بأن الأهالي السنغاليين حتي هذا العهد لم يعطوا أي اهتمام يذكر لتعلم اللغة الفرنسية[3].

ويبدو أن الخط السياسي الذي رسمه فيديرب لقطاع التعليم في السنغال قد استوحاه من كتاب[4] ألفه السيد فريدبريك كارير[5] (F. CARRERE) وبول هول (P. HOLLE) ويمكن تلخيص ما جاء من أفكار هامة في كتاب السيدين كارير (F. CARRERE) وهول (P. HOLLE) كما يأتي[6]:

1- يرى المؤلفان أنه من الضروري طرد كل معلمي الكتاتيب القرآنية (الغرباء) من السنغال، ويقصدان بذلك المعلمين الذين قدموا إلى البلاد من مختلف أنحاء إفريقيا الشمالية، والذين يمارسون مهنة التعليم هناك، اعتقاداً منهما أن هؤلاء المعلمين يشكلون خطراً على مستقبل الحضارة الغربية في السنغال من جهة، وهم الذين يحرضون الأهالي السنغاليين على عدم الإقبال على تعلم الفرنسية في المدارس الحكومية.

2- يلح كارير (F. CARRERE) وهول (P. HOLLE) في كتابهما على اتخاذ إجراءات صارمة ضد مهنة التعليم في الكتاتيب القرآنية؛ وضد كل من يمارس هذه المهنة من السنغاليين في البلاد.

---

(1) G. HARDY: Même Page:

(2) انظر محتوى قرار 2 يونيو 1857 ـ السابق.

(3) J.L. MONTEZER: P. 39 et suite.

(4) F. CARRERE et P. HOLLE: De la SENEGAMBIE Francfaise Paris 1855.

(5) فريديريك كارير: موظف بالإدارة الفرنسية، رئيس مصلحة الشئون القضائية بمدينة سان لويس.

(6) بول هول: رحالة فرنسي عسكري مخضرم كان يسكن في مدينة سان لويس.

3- وفي صدد نشر التعليم الفرنسي بين الجماعات السنغالية، يقترح المؤلفان فتح المدارس الفرنسية في كل حي من أحياء مدينة سان لويس، وغيرها من المراكز الهامة في السنغال؛ وإقرار إجبارية التعليم الفرنسي في هذه المدارس.

4- وفي مجال جذب الأطفال السنغاليين إلى المدارس الفرنسية يرى كارير (F. CARRER) وهول (P. HOLLE) أنه يمكن توظيف معلمي اللغة العربية بصفة مؤقتة في المدارس الفرنسية، وذلك لتعليم اللغة العربية في هذه المدارس الأخيرة ليطمئن التلاميذ والآباء معاً لهذه المؤسسات، وهكذا حتى يتم التسيير الفعلي للمدارس الفرنسية في السنغال، ويألف التلاميذ السنغاليون هذه المؤسسات الأخيرة. وبألفة التلاميذ لهذه المؤسسات وتعودهم عليها تنتهي مهمة معلمي اللغة العربية في المدارس الفرنسية.

5- وقف كارير (CARRER) وهول (P. HOLLE) من الدين الإسلامي في السنغال موقفا مناوئاً، وذهبا إلى القول بأنه هو «سبب تأخر كثير من السنغاليين أو أن الإسلام هو الذي حال دون تقدمهم وتحضرهم، لحد أنه جعلهم (برابرة)».

كما تمنى كارير (CARRER) وهول (P. HOLLE) هدم مسجد مدينة سان لويس الذي بنى سنة 1847م[1]. أما فيما يخص إنشاء المحاكم الإسلامية في السنغال، فقد وقف المؤلفان موقفا مضادا من هذه الفكرة. وأخيراً تشاءم كارير (F. CARRER) وهول (P. HOLLE) في كتابهما المذكور من اللباس التقليدى في السنغال[2].

---

(1) ABCHIVES: S. O. M. Paris Dossier SENEGAL No 10.(*)

(*) انظر كذلك في هذا الصدد تقرير السيد باربى بتاريخ 29 مايو 1856، المسئول السامي للبعثات التبشرية في السنغال ـ ملحق ـ 2.

(2) D. BOUCHE: P. 279.

لقد قرأ فيديرب كتاب كارير وهول هذا، ثم بعثه إلى وزير المستعمرات الفرنسية، معلقاً على أهم ما جاء فيه من أفكار(1).

وتأثر فيديرب بأفكار كارير وهول السابقة، ونفذ برنامجهما(2). وذلك ما يتضح في القرار الذي أصدره بتاريخ 22 يونيو 1857، الذي يتعلق (بتنظيم التعليم العربي في السنغال).

1- اللغة العربية وتعلّيم اللغة الفرنسية:

أدركت الإدارة الفرنسية أهمية اللغة العربية(3) والمكانة المرموقة التي تتمتع بهما بين الأوساط السنغالية(4). فعمدت هذه الأخيرة إلى اتخاذ اللغة العربية وسيلة لجذب التلاميذ السنغاليين إلى مدارسها، واتخذت من أجل بلوغ هدفها عدة إجراءات، منها تعليم اللغة العربية في مدارس الرهبان البيض، وذلك ليطمئن التلاميذ السنغاليون، ولا ينفرون من أشخاص غرباء عنهم، لغة ودينا وفكرا(5).

وتعلم بعض الرهبان اللغة العربية، وذلك ليتمكنوا من الاتصال المباشر بالسنغاليين عن طريق التخاطب والتفاهم معهم، وتعلم هؤلاء الرهبان البيض اللغة العربية(6). أحياناً عند معلمي الكتاتيب القرآنية في البلاد. وقد لجأت الإدارة الفرنسية إلى استعمال بعض المعلمين الفرنسيين الذين يعرفون العربية لتدريس هذه اللغة الأخيرة في مدارسها في السنغال(7).

---

(1) D. BOUCHE: P. 279.

(2) قارن بين ما جاء في كتاب كارير وهول وقرار فيديرب بتاريخ 2 -6- 1857.

(3) V. MONTEUIL: P. 222.

(4) ABCHIVES: S. O. M. Paris Dossier SENEGAL No 10.(*)

(*) انظر تقرير فيديرب بتاريخ 9 - 7 - 1956 ملحق 3.

(5) D. BOUCHE: PP. 313 - 315.

(6) من الرهبان البيض الذين يتعلمون اللغة العربية عند معلمي الكتاب: القس اندري كوربني (le Fr. A. CORSINI)، وكان يعلمها بدوره للتلاميذ في أديرة بالورمال.

(7) D. BOUCHE: PP 313 - 315.

ومن هؤلاء المعلمين الفرنسيين الذين استعملتهم الإدارة الفرنسية لتدريس اللغة العربية، السيد إنجيلي (ENGELY)، الذي قدم إلى السنغال في سنة 1883. وقد علّم هذا الأخير في مدينتي سكيكدة وعنابة، بالجزائر. غير أنه يبدو أن هذا المعلم الفرنسي لم ينجح[1] في مهمته واضطر أن يغادر السنغال في السنة الموالية، أي سنة 1884.

والملاحظ هو أن السيد إنجيلي كان مناوئا أشد المناوأة للغة العربية وانتشارها في السنغال، وقد اقتصرت مهمته خلال السنة الوحيدة التى قضاها في السنغال على بث الدعاية بين التلاميذ للإقبال على تعلم اللغة الفرنسية وعدم النفور منها، وذلك على حساب اللغة العربية[2].

وإلى جانب قرار فيديرب[3] السابق، الذى في مجمله جاء ليدعم ركائز التعليم الفرنسي في السنغال، وعرقلة التعليم العربي قدر ما أمكن، أصدر الحاكم العام للسنغال السيد فالير (VALIERE) قرارا بتاريخ 28 فبراير 1870 ينص على إجبارية تعلم اللغة الفرنسية على مسلمي الكتاب أنفسهم، وذلك ليعلموا بدورهم هذه اللغة الأخيرة لتلاميذهم في الكتاتيب القرآنية[4].

وقد نص قرار فالير المذكور على أن الأطفال الذين يزاولون تعليمهم العربي في الكتاتيب القرآنية في السنغال، والذين لا يستطيعون التمكن من اللغة الفرنسية في مدة لا تفوق السنتين يطردون من هذه الكتاتيب، يتعلمون اللغة الفرنسية فقط في المدارس الحكومية[5].

---

(1) يبدو أن السيد إنجيلي لم يكن متمكنا من اللغة العربية الشيء الذي أدى بالحاكم العام أن يبدي استياءه إزاءه وطلب من وزير المستعمرات أن يضع حدا لمهمته في السنغال.

(2) D. BOUCHE: Opj ut; P. 314.

(3) انظر قرار 2 - 6 - 1857 الذي أصدره السيد فيديرب.

(4) D. BOUCHE: Opj ut; P. 313 - 314.

(5) D. BOUCHE: P. 298.

أما عن رخص التعليم في الكتاتيب القرآنية فبموجب قرار فالبير هذا، أصبحت لا تمنح لأي مترشح للتعليم في الكتاب، إلا بعد نجاحه في امتحان اللغة الفرنسية[1].

وفي شهر يونيو من سنة 1906، أصدرت الإدارة الفرنسية في السنغال قرارا ينص على أنه باستطاعة كل معلم من معلمي الكتاتيب القرآنية أن يربح سنويا مبلغا يقدر بـ 300 فرنك فرنسي، شريطة أن يعلم تلاميذه اللغة الفرنسية فى الكتاب وذلك لمدة ساعتين في الأسبوع. وقد وزع هذا المنشور على كل معلمي الكتاب في السنغال ،ولكن يبدو أنه لم يترشح أي معلم من معلمي الكتاب لتعليم اللغة الفرنسية لتلاميذه[2].

2- كساد التعليم الفرنسي واتخاذ اللغة العربية وسيلة لإصلاحه:

لم يعرف قطاع التعليم الفرنسي في السنغال بعد انتهاء مهمة السيد فيديرب بأي تطور يذكر، بل ساده الفتور والكساد، وذلك خلال الثلاثين سنة التي تلت انتهاء مهمته؛ ولم يستطع خلفاؤه بمحاولاتهم العديدة إعطاء خطط جديدة لقطاع التعليم من بعده[3].

وفي سنة 1898 تكون المدارس الفرنسية الحكومية منعدمة تماماً في السنغال، ذلك لأن أغلبها قد أغلق إما بسبب عدم وجود التلاميذ، وإما بسبب عدم توفر الإطارات الكفء للتعليم. وفي نفس السنة المذكورة تشير الإحصاءات إلى وجود تسع (9) مدارس ابتدائية فقط في كامل البلاد، منها خمس (5) مدارس للذكور وأربع (4) مدارس للبنات من بينها مدينة واحدة حكومية، وأما ما تبقى فهو تابع للبعثات التبشيرية، أي ثمان (8) مدارس[4].

---

(1) D. BOUCHE: P. 298.

(2) D. BOUCHE: P. 703.

(3) G. HARDY: L'Ens. Indigènes dasn le Possos. Fr. d'Af. BRUABL. 1931 P. 261.

(4) G. HARDY: L'Ens. Indigènes. P. 266.

والمدرسة الحكومية هذه كادت تغلق في سنة 1870، وذلك لعدم وجود التلاميذ على الخصوص في النهار. أما الدروس المسائية فيحضرها عدد من التلاميذ[1].

وقد قدر عدد التلاميذ الذين يتابعون دروسهم المسائية في المدرسة المذكورة خلال سنة 1870 بما يقرب من 85 تلميذاً؛ ذلك ما تأكد منه السيد جواني (JOENNET) مفتش التعليم خلال زيارته للمدرسة. وقد بعث هذا الأخير تقريرا لوزير المستعمرات أبدى فيه تشاؤمه إزاء مستقبل مدرسة سان لويس هذه، وذلك على عكس ما لاحظه في مدارس الرهبان البيض، حيث نسبة حضور التلاميذ عادية، وطرق التعليم «مجدية وحسنة» في أغلبها[2].

ولقد حمّلت الإدارة الفرنسية نتائج هذا الوضع المتدهور للتعليم في السنغال، التعليم العربي في البلاد، المتمثل في الكتاتيب القرآنية، واتخذت من ذلك ذريعة للهجوم عليها، من ذلك أن المسئول السامي للبعثات التبشيرية[3] لمدينة سان لويس قد ندّد بعدد معلمي الكتاتيب القرآنية الموجودة في المدينة في تقرير وجهه إلى وزير المستعمرات الفرنسية، وحسب هذا الأخير، ففي مدينة سان لويس وحدها، كان يوجد بها ما يقرب من 37 معلماً للغة العربية، ويعلم هؤلاء المعلمون ما يقرب من 300 تلميذ، ومن بينهم سبعة (7) معلمين فقط أصلا من سان لويس[4].

أما من تبقى من هؤلاء المعلمين فقد قدموا من فوته السنغالية ومنطقة كايور وغيرهما. واعتبر المسئول السامي للبعثات التبشيرية معلمي اللغة العربية (غرباء) عن مدينة سان لويس، ومصدر مشاغبة، ومناهضين للحضارة الغربية في

---

(1) D. BOUCHE: P. 299.

(2) D. BOUCHE: P. 280.

(3) ABCHIVES: S. O. M. Paris Dossier SENEGAL No 10.(*)

(*) انظر تقرير السيد باربيي بتاريخ 29 - 5 - 1856 ملحق 2.

(4) D. BOUCHE: P. 280.

السنغال، ولا يعلمون الأخلاق لتلاميذهم بل يدفعونهم إلى الشحاذة[1]، والتسول والسرقة. وما يتحصل عليه هؤلاء التلاميذ من حبوب، ودقيق، ونقود، بواسطة أعمالهم المتنافية مع «القانون والأخلاق» يسلمونه إلى مسلميهم، كما ندد هذا الأخير في تقريره هذا «بالاستغلال» البشع الذى كان التلاميذ يتعرضون له من قبل معلمي الكتاب في السنغال، كإشعال النار للمعلم، وحصد المحاصيل الزراعية وجلب الماء له وغيرها من الخدمات[2]، التي اعتبرها الفرنسيون «استغلالا للإنسان من طرف أخيه الإنسان..»[3].

وقد عمدت الإدارة الفرنسية إلى تقليص عدد الكتاتيب القرآنية في السنغال، والتنقيص من عددها، ذلك ما يتضح في برنامج الحاكم في ريسون (GUY RISSON) الذي سطره سنة 1903[4].

إن قرار في ريسون المذكور لا يختلف جوهريا في محتواه عن قراري فيديرب، وفالير، اللذين سبق وأن تطرقنا لهما، ولا يختلف أيضا هذا الأخير عن قراري ما نيفير (MATHIVSR) وجوبير (JOUBER) اللذين سنشير إليهما في أوانهما. وعموماً فإن هذه القرارات التي اتخذتها الإدارة الفرنسية في ميدان التعليم جاءت خدمة للتعليم الفرنسي في السنغال، ومحاولة لإنقاذ الوضع المتدهور الذي كان يتخبط فيه. وذلك على حساب التعليم العربي المتمثل في الكتاتيب القرآنية في البلاد.

وقد جاء قرار ريسون خصيصاً للتخفيض من عدد الكتاتيب القرآنية في

---

(1) انظر في هذا الصدد:(*)

(*) V. MONTEUIL: L' Islam Moir P. 22.

(*) A. GOUILLY:L'Islam dans L'AOF P. 222

(2) انظر في هذا الصدد:(*)

(*) G. HARDY: Une Conq. Mar. l'Brs. P. 157.

(*) قد سبق وأن وضعنا هذا الموضوع، انظر الفصل الثاني «المعلمون ومكانتهم الاجتماعية والثقافية».

(3) D. BOUCHE: P. 279.

(4) D. BOUCHE: P. 280.

السنغال، وذلك ليسهل على الإدارة الفرنسية مراقبتها؛ وقد يطلق بعض المؤلفين الغربيين على هذا البرنامج الأخير اسم: «تنظيم الكتاتيب القرآنية»[1].

وفي الحقيقة فإن الشيء الذي دفع بريسون إلى إصدار برنامج 15 يوليه 1903، تزايد عدد الكتاتيب القرآنية باضطراد، وذلك رغم الإجراءات التي اتخذتها الإدارة الفرنسية قبل ذلك[2] قصد عرقلة انتشار الكتَّاب في السنغال.

والجدول التالي يبين لنا نتائج برنامج ريسون في نهاية سنة 1904م[3]:

برنامج ريسون ونتائجه

الدائـرة(*)	عدد معلمي الكتاتيب سنة 1904	عدد التلاميذ	عدد معلمي الكتاب المرخص لهم سنة 1904
سان لويش	107	2.000	28
دكار	42	656	17
ريفيـك	50	382	4
قـوري	3	83	2

والمتبع للجدول السابق يدرك ما كان يرمي إليه صاحب البرنامج، ففي سان لويس مثلا كان عدد الكتاتيب فيها في سنة 1904 يقدر بما يقرب من 107 كتاباً التي خفضها البرنامج هذا إلى 28. وقد تعتبر النتائج التي توصل إليها برنامج ريسون المذكور كارثة كبرى بالنسبة للتعليم العربي في السنغال. ولحسن الحظ، لم يكن ذلك سوى سحابة عابرة، إذ بعد مضي سنتين على صدوره، ظهر عدم جدواه جلياً، واستغنى عنه نهائياً في نهاية سنة 1905.

(1) D. BOUCHE: P. 707.
(2) D. BOUCHE: Même page.
(3) D. BOUCHE: P. 707.

(*) يقتصر الجدول فقط على بعض المراكز الهامة في السنغال.

وهكذا مرة أخرى تصمد اللغة العربية في السنغال أمام التيارات المناوئة لها، وذلك بفضل تمسك السنغاليين بها[1]؛ والرغبة الملحة التي يتعلمون بها للدفاع عنها من جهة ونشرها بين الأوساط السنغالية من جهة أخرى[2].

3- فشل محاولات خنق التعليم العربي:

إذا كان الحاكم فيديرب قد أصدر قرارًا 1857 ينص على إجراء الامتحانات المهنية والبيداغوجية لمعلمي الكتاتيب القرآنية في السنغال[3]. ونظيره فالير قد أقر إجبارية تعلم اللغة الفرنسية على معلمي الكتاب في البلاد ليعلموها بدورهم لتلاميذهم في المدارس العربية[4]. فإن الحاكم جوبير (JOUBER) قد أصدر قراراً في سنة 1870، والذي يعتبر مكملاً للقرارين السابقين. وقد نص هذا القرار خاصةً على إجبارية تعلم تلاميذ الكتاتيب القرآنية اللغة الفرنسية، وذلك من طرف معلمي الكتَّاب أنفسهم[5].

أما الحاكم ماتيفير (MATHIVSR)، فقد أصدر قرارا في سنة 1996 كان الهدف منه على الخصوص وضع حد نهائي لمنافسة التعليم العربي في السنغال للتعليم الفرنسي، وفي هذا المجال نص القرار المذكور على ضرورة غلق الكتاتيب القرآنية خلال الساعات التي تفتح فيها المدارس القرآنية[6].

ورغم كل هذه الإجراءات التي جاءت خصيصاً لعرقلة تطور التعليم العربي في السنغال، فإن عدد الكتاتيب القرآنية قد ازداد بصفة ملحوظة، خلال السنوات التي تلت هذه القرارات المذكورة[7].

---

(1) M. CARDAIRE: PP 115 - 121.

(2) V. MONTEUIL: L'Islam noir P. 127.

(3) انظر قرار فيديرب بتاريخ 2 - 6 - 1857.

(4) انظر قرار فالير سنة 1870.

(5) D. BOUCHE: P. 318.

(6) D. BOUCHE: P. 318.

(7) انظر جدول مقارنة التعليم الفرنسي والتعليم العربي في السنغال.

وفي سنة 1899 قد قدر عدد الكتاتيب القرآنية في مدينة سان لويس بالسنغال وحدها بما يقرب من 90 كتاباً، يدرس فيها ما يقرب من 1289 تلميذاً ذكراً، و 429 تلميذة إناثا. أما تلاميذ المدارس الفرنسية في نفس السنة فقد قدر عددهم بحوالي 875 تلميذاً، من بينهم 755 تلميذاً لا يلتحقون رسمياً بهذه المدارس الأخيرة، إنما يتابعون الدروس المسائية التي تنظمها المدارس الفرنسية؛ أي أن عدد التلاميذ الذكور المسجلين رسميا في المدارس الفرنسية في مدينة سان لويس خلال السنة المذكورة لم يتجاوز 420 تلميذا[1].

أما عدد التلميذات في مدينة سان لويس فقد قدر خلال سنة 1899 بما يقرب من 192 تلميذة يدرسن في مدرسة البنات الوحيدة من نوعها في البلاد[2].

وفي مدينة سان لويس خاصة، نلاحظ أن ازدياد عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية قد يفوق ازدياد عدد السكان؛ ففي سنة 1854 مثلاً قدر عدد تلاميذ المدارس العربية بما يقرب من 300 تلميذ، من بين 12.000 نسمة التي كانت تسكن المدينة، أي أن نسبة التعليم في هذه المدينة المذكورة قد تقدر بحوالي 2.5% بينما نسبة ازدياد السكان فهي أقل من ذلك بكثير. أما في سنة 1899 فقد قدر عدد التلاميذ الذين يدرسون في المدارس العربية في سان لويس بما يقرب من 1.700 تلميذ من بين أقل من 20.000 نسمة كانت تسكن المدينة آنذاك؛ أي أن نسبة التعليم قد تقدر بحوالي 8.5% خلال السنة المذكورة[3].

أما في مدينة دكار فقد قدر عدد الكتاتيب القرآنية خلال السنة المذكورة بما يقرب من 21 كتابا، يذهب إليها ما يقرب من 250 تلميذا ذكورا و 26 تلميذة إناثا[4].

أما في مدينة ريفيسك بالسنغال فقد قدر عدد الكتاتيب القرآنية فيها خلال سنة

---

(1) D. BOUCHE: Même Page.

(2)-(3)-(4) D. BOUCHE: P. 318 et suite.

1899 بما يقرب من 5 كتاتيب يذهب إليها حوالي 73 تلميذاً ذكورا و 17 تلميذةً إناثا. وفي مدينة قوري فقد قدر فيها عدد تلاميذ الكتاب بما يقرب من 40 تلميذا ذكورا و 12 تلميذة إناثا، وذلك خلال السنة المذكورة[1].

ويبدو أن إحصائيات التعليم العربي في السنغال خلال سنة 1907، هي التي تعطينا صورة كاملة على وضعية هذا التعليم الأخير، وإن كانت هذه الإحصاءات في أغلب الأحيان متضاربة مع بعضها البعض، غير أن هذا لا يمنعنا ان نستخلص من هذه الوثائق التاريخية بعض الحقائق التي آل إليها التعليم الفرنسي من جهة، وانتشار التعليم العربي في السنغال وتطوره بين سنتي 1907[2] و 1913[3] من جهة أخرى.

والجدول التالي يعطينا صورة واضحة عن تعلم اللغة العربية في المدارس العربية الحكومية من جهة والكتاتيب القرآنية للأهالي السنغاليين، وذلك خلال سنة 1907[4].

إذن نستطيع القول بأن تفوق التعليم العربي على التعليم الفرنسي، أمر لا يختلف فيه اثنان؛ وحقيقة تاريخية لا ينكرها ناكر. وذلك خلال الفترة الاستعمارية للسنغال الممتدة ما بين سنة 1854-1918[5]. أى أن اللغة العربية في السنغال هى التي كانت سائدة بين الجماهير، باعتبارها لغة الدين التي تدين به منذ حوالي تسعة قرون خلت[6]. ومن ثم يمكن اعتبار اللغة العربية لغة تقليدية في

(1) D. BOUCHE: P. 318.

(2) انظر جدول إحصائيات التعليم العربي في السنغال لسنة 1907.

(3) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاب في السنغال خلال سنة 1913.

(4) ARCHIVES: S. O. M. Paris Dossier SENEGAL No 10 (*).

(*) انظر جدول إحصائيات التعليم العربي في السنغال لسنة 1907.

(5) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاب في السنغال لسنة 1913.

(6) Amar SAMB: P. 28.

إحصائيات التعليم اليومي[1].
تعليم اللغة العربية في المدارس والكتاتيب القرآنية للأهالي السنغاليين

المستعمرة	تعليم عمومي			تعليم حر					المجموع العام		
	مدارس ذ (*)	أساتذة ذ	تلاميذ ذ	عدد التلاميذ ذ	عدد التلاميذ إ (*)	مدارس	أساتذة	تلاميذ	مدارس	أساتذة	تلاميذ
سان لويس	5	2	75	1.326	160	46	46	1.486	51	48	1.561
دكار	1	1	26	415	12	27	27	427	28	28	453
قوري	=	=	=	34	10	2	2	44	2	2	44
ريفيك	=	=	47	519	31	20	20	550	21	21	597
اسكال	3	3	162	405	4	34	34	409	37	37	571
المنطقة المحمية	=	=	=	8.204	0283	1.262	1.262	8.487	1.262	1.262	8.487
للجموع	10	7	310	10903	500	1.391	1.391	11403	1.401	1.398	11.713

* ذ : ذكور   * إ : إناث

البلاد، بحيث نجد في السنغال حوالي 25%[1] من الأشخاص الذين يحسنون هذه اللغة الأخيرة كتابةً ومخاطبةً.

وليس هناك ما يبرهن على أمر تفوق اللغة العربية في السنغال على اللغة الفرنسية، وذلك رغم مساعي أصحاب هذه اللغة الأخيرة لإحباط اللغة الأولى وعرقلة انتشارها في البلاد، إلا الجدول(*) التالي[2]:

المستعمرة	عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية			عدد تلاميذ المدارس الفرنسية			عدد البنات من بين المجموع		
السنة	1907	1908	1909	1907	1908	1909	1907	1908	1909
السنغال	9.082	10.711	10.933	371	1.037	789	21	555	354



(*) جدول مقارنة عدد تلاميذ الكتاب وعدد تلاميذ المدارس الفرنسية في السنغال بين 1907-1909.

(1) V. MONTEUIL: P. 222.

(2) D. BOUCHE: P. 768.

الفصل الخامس

كيف استطاع الاستعمار الفرنسي أن يكون نخبة إفريقية موالية له فكراً وثقافة وديناً ولغة؟!

1 - المعاهد الفرنسية الإسلامية
2 - مدرسة أبناء رؤساء القبائل والمترجمين
3 - التعليم الفرنسي في نهاية سنة 1917
4 - التعليم الفرنسي للكبار
5- تعليم البنات

1- المعاهد الفرنسية الإسلامية:

إن المتفحص للوثائق الرسمية للإدارة الفرنسية المتعلقة بالمدارس العربية التابعة لها في السنغال، يدرك لأول وهلة الوضع المتدهور إدارياً وثقافياً الذى كانت تتخبط فيه هذه المدارس(1).

وتذكر الوثائق وجود أربع مدارس وهي: مدرسة سان لويس، ومدرسة جني، ومدرسة توبا (غينيا)، وأخيرا مدرسة تمبوكتو، والذى يهمنا من هذه المدارس هي مدرسة سان لويس بالسنغال(2).

ومدرسة سان لويس على ما يبدو كانت تابعة للحكام العسكريين الذين تولوا حكم السنغال؛ غير أن الحاكم العام لإفريقيا الغربية لم يحدد بالضبط الهيئة الإدارية أو المصلحة التي تسيّر إدارياً هذه المدرسة(3). وتعاقب في الإشراف على هذه المدرسة أحيانا السيد جورج هاردي مفتش التعليم لإفريقيا الغربية، وأحيانا مدير الشئون الإسلامية(4). وبطبيعة الحال فالوثائق المتعلقة بمدرسة سان لويس كانت تبعث أحيانا هنا أو هناك الشيء الذي عرضها للإتلاف والضياع.

إن فكرة إنشاء المعاهد الفرنسية الإسلامية قد تكون منبثقة عن قرار وليام بنتي

---

(1) انظر الملحق رقم (3) من الوثائق التي تشير إلى وضع المعاهد الفرنسية الإسلامية عثرنا على هذه الوثائق المؤرخة بتاريخ 28 مارس 1913: وهي غير ممضاة، ومجهولة الكاتب، ويبدو من محتواها أنها موجهة إلى وزير المستعمرات وكان صاحبها الحاكم العام الفرنسي لغرب إفريقيا.

(2) ARCHIVES "S. O. M." Dossier SENEGAL No 10.

(3) الشيء الذى قلناه عن مدرسة سان لويس ينطبق على المدارس الاخرى في إفريقيا الغربية، كمدرسة جني، وتمبوكتو، وبوتلميت، وتوبا بغينيا.

(4) ARCHIVES "S. O. M." Dossier SENEGAL No 10.

الحاكم العام لإفريقيا الغربية، الصادر بتاريخ 11 مايو 1911، والذي منع استعمال اللغة العربية في المحاكم الإسلامية في المنطقة[1]. وسطر برنامجًا لإنشاء ما يقرب من عشرة معاهد «فرنسية إسلامية» في إفريقيا الغربية موزعة عبر المراكز الهامة للمنطقة. غير أن البرنامج لم ينفذ بأكمله وعوض أن تعرف المنطقة إنشاء عشر مدارس، لم يبرز إلى الوجود منها سوى أربع مدارس، وهي المدارس التي ذكرناها سابقا[2].

وتدعي الإدارة الفرنسية بأن «الهدف من إنشاء المعاهد الفرنسية الإسلامية في السنغال هو ترقية الدراسات العليا الإسلامية، وتكوين معلمي الكتاتيب القرآنية تكوينا ثقافيا، يسمح لهم بأداء مهمتهم التعليمية على أحسن وجه من جهة، وتعليم اللغة الفرنسية للشبيبة الإسلامية وإعطائها نظرة صحيحة عن الدور الحضاري الذى تلعبه فرنسا في السنغال من جهة أخرى»[3].

ويقول السيد البير سارو فيما يتعلق بهدف إنشاء المعاهد الفرنسية الإسلامية في السنغال: إنه «كان سياسيا محضًا وتلاميذ هذه المعاهد يهيأون للتعليم في الكتاتيب القرآنية، والبعض الأخر للترجمة، ومنهم من يوجه إلى مهمة القضاء والكتابة في المحاكم الإسلامية»[4].

ويمنح تلاميذ المعاهد الفرنسية ـ الإسلامية منحة سنوية من قبل الإدارة الفرنسية تقدر بـ 10 فرنكات للتغذية و 100 فرنك للألبسة. ولعب هذا المبلغ الزهيد الذي منحته الإدارة الفرنسية للطلاب في هذه المعاهد دوراً هاماً لجلبهم إلى هذه المؤسسات، زيادةً على أن الإدارة الفرنسية تضمن لبعضهم التوظيف في مصالحها الإدارية وذلك بعد تخرجهم من هذه المعاهد[5].

---

(1) لم يقتصر قرار منع استعمال اللغة العربية في المحاكم الإسلامية على إفريقيا الغربية وحدها، بل عمم بعد صدوره على كافة المستعمرات الإسلامية الفرنسية.

(2) G. HARDY: Une Conquette Morale L'Enseignement en A. O. F. P. 249.

(3) جورج هاردي: المرجع نفسه.

(4) A. SARAUT: Mise en Valeur des Colonies Francaise - Paris - 1923- P. 299.

(5) G. HARDY: Une Conquette Morale L'Ens. en A. O. F. P. 258.

وكانت شروط الانخراط في هذه المعاهد تكاد تكون مقتصرة على أبناء رؤساء القبائل والأعيان والطبقات الموالية في السنغال، ذلك لأنها مؤسسات سياسية أكثر منها اجتماعية وثقافية[1].

أما برامج المعاهد الفرنسية الإسلامية في السنغال فتحتوي على اللغة الفرنسية، والعلوم الفرنسية على مختلف أنواعها، واللغة العربية، والفقه الإسلامي، والتفسير وعلى شيء من التاريخ العربي الإسلامي، معدل حسب التوجيه السياسي لهذه المعاهد[2].

وتدرس اللغة العربية في المعاهد الفرنسية الإسلامية كلغة أجنبية شأنها شأن اللغات الأجنبية الأخرى التي تدرس مثلا في الثانويات الفرنسية[3].

ويعد معهد سان لويس من بين المعاهد التي عمرت طويلاً، والذي تواصلت فيه الدراسة بدون انقطاع[4]*. وذلك حتى استقلال السنغال وقد يكون ذلك راجع إلى وجود المعهد في أهم مركز من مراكز البلاد إقتصادياً وثقافياً.

ويختص المعهد الفرنسي ـ الإسلامي لمدينة سان لويس خاصةً في تكوين المترجمين باللغتين الفرنسية والعربية، وتكوين معلمي الكتاتيب القرآنية، الذين يتسلمون بعد تخرجهم شهادات تثبت كفاءتهم الثقافية للتدريس في الكتّاب[5]*.

وقد بلغ عدد أساتذة معهد سان لويس في سنة 1910 ستة أساتذة، واحد منهم جزائري يساعده ممرنان سنغاليان في تعليم اللغة العربية، وثلاثة فرنسيين، اثنان

---

(1) MADAHA: Manicer: 50.

(2) G. HARDY: Une Conquette Morale L'Ens. en A. O. F. P. 257.

(3) G. HARDY: L'Enseignement aux Indgènes dans les. Passessions Francaise d: Afrique - Bruxelles- 1931 P. 231.

(4) أنشئت عدة مؤسسات شبيهة بهذه المؤسسة، مثل معهد فوته جالون بغينيا، ولكنه أغلق بسبب عدم توفر الإطارات.

(*) أنشئت عدة مؤسسات شبيهة بهذه المؤسسة ثم اغلقت وذلك مثل معهد فوتا جالون في غينيا، وذلك لعدم توفر الإطارات أو الطلبة.

*(5) G. HARDY: L'Enseignement aux Indiènes dans les. Passessions Fr. P. 258.

منهم ممرنين، وعلى رأسهم أستاذ رئيسي للغة الفرنسية. وبلغ عدد تلاميذ المعهد في نفس السنة المذكورة ما يقرب من 56 تلميذاً، ومصاريفه قد قدرت خلال نفس السنة بما يقرب من 44.000 فرنك فرنسي[1].

وهذا العدد المتقلص للتلاميذ ليس وليداً عن طريق الصدفة أو عن عدم توفر التلاميذ في مدينة سان لويس، بل هو مقصود من قبل الإدارة الفرنسية، وذلك لاهتمامها بنوعية خاصة من التلاميذ التى كانت تهدف إلى إعطائهم تعليماً نافعاً وموجهاً حسب رغباتها، فضلاً عن أن شروط الانخراط في المعهد تقتصر على طبقة معينة من المجتمع السنغالي[2]؛ هم أعيان البلاد والمتعاونون معها محليا.

2- مدرسة أبناء رؤساء القبائل والمترجمين:

أنشئت مدرسة أبناء رؤساء القبائل والمترجمين في سنة 1912م، وأسست هذه المدرسة خصيصًا لأبناء رؤساء القبائل الموالين للإدارة الفرنسية في السنغال. والغرض من تأسيسها لا يختلف عن غرض تأسيس المعاهد الفرنسية الإسلامية التي سبقت الإشارة إليها، وبرامجها هي الأخرى لا تختلف عن برامج المعاهد المذكورة[3].

وتنحصر مهمة هذه المدرسة في تكوين أبناء رؤساء القبائل تكويناً سياسياً، يسمح لهم بعد تخرجهم لشغل منصب سياسي هام من الدرجة الثانية، كرئيس دائرة مثلاً أو شيخ بلدية أو غيرهما. كما يتخرج من هذه المدرسة المترجمون، وهم عادةً من الطلاب الذين ينتمون إلى الأسر الكبيرة في السنغال[4].

لكن مدرسة أبناء رؤساء القبائل والمترجمين هذه لم تعمر طويلاً، ودام

(1) ARCHIVES: S. O. M. Dossier SENEGAL No 10.

(2) G. HARDY: Une Conquette Morale L'Enseignement. en A. O. F. P. 260.

(3) G. HARDY: L'Ens aux Indigènes aux pos. Fr. P. 260.

(4) D. BOUCHE: l'Enseignement dans les Ter. Fr. A. O. F. 1975 P. 417.

نشاطها ما يقرب من خمس سنوات فقط (1912-1917) والجدول التالي يبين عدد التلاميذ الذين زاولوا تعليمهم في هذه المدرسة ونوعيتهم بين سنتي 1912-1917[1].

جدول تلاميذ مدرسة أبناء رؤساء القبائل والمترجمين بمدينة سان لويس 1912-1917[2].

السنة	عدد التلاميذ السنغاليين	أبناء رؤساء القبائل	تلاميذ غير سنغاليين	عدد تلاميذ السنة التحضيرية
1913 - 1912	11	68		
1914 - 1913	313	71	21	44
1915 - 1914	أغلقت المدرسة خلال هذه السنة			
1916 - 1915	102	59	19	55
1917 - 1916	136	79	19	81

وعلى الرغم من أن إنشاء هذه المعاهد كان يهدف بالدرجة الأولى إلى خدمة السياسة الاستعمارية في السنغال، فإنها لم تنج من حملات النقد والتنديد من قبل بعض الساسة والمؤلفين الفرنسيين. ومن ذلك يقول السيد بول مارتي عن إنشاء المعاهد الفرنسية الإسلامية ما يلي: «... إنه لمن الخطأ فتح هذه المدارس، ومعنى هذا أننا ننير العقول المضادة لنا بواسطتها، أليس الأفضل أن نترك الإسلام يسير ويتطور في طرقه المنحطة التي هي أقل خطرًا بالنسبة إلينا في إفريقيا...؟[3].

(1) D. BOUCHE: P. 417 - 418.

(2) دونيز بوش: نفس المرجع - نفس الصفحة السابقة.

(3) A. SARRAT: p. 299 et 400.

وفي الحقيقة فإن إنشاء هذه المدارس، إنما كان لغرضين اثنين، أولهما هو جذب الأطفال الأفارقة قصد تعليمهم اللغة الفرنسية[1]. وبالتالي تلقيحهم الحضارة الغربية شيئاً فشيئاً، وذلك باتخاذ اللغة العربية كوسيلة لجلب الأطفال الأفارقة إلى هذه المعاهد[2].

أما الغرض الثاني من إنشاء المدارس الفرنسية الإسلامية، فهي محاولة تهدف إلى جعل الطلاب المتخرجين منها طبقة مساندة وموالية للإدارة الفرنسية في البلاد، ولا شيء يبرهن على ذلك سوى شروط الانخراط في هذه المؤسسات.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل نجحت الإدارة الفرنسية في تكوين طبقة موالية لها، لغةً وديناً وحضارةً في إفريقيا الغربية؟ وإلى أي مدى صمدت اللغة العربية وتصدت للتيارات المعادية لها؟

وللإجابة عن هذا السؤال يجدر بنا أن نتتبع خطوات تطور التعليم الفرنسي في البلاد، والنتائج التي وصل إليها بعد الفتور والكساد اللذين أصيب بهما، وذلك حتى سنة 1899.

ويبدو من خلال الإحصاءات الرسمية للإدارة الفرنسية، أنه حتى العقد الأول من القرن الحالي لم يشاهد التعليم الفرنسي في السنغال تطورات كبيرة[3]. غير أن سنة 1912 يلاحظ خلالها إزدياد عدد التلاميذ المسلمين في المدارس الحكومية الفرنسية. ويبدو أن المانع الديني والحضاري لم يعد حائلاً دون انخراط التلاميذ المسلمين في المدارس الحكومية الفرنسية[4].

وعموماً فإن سنة 1912 قد شهد خلالها التعليم الفرنسي شيئاً من التطور[5]*. ويلاحظ خلالها الفارق الكبير في عدد التلاميذ الملتحقين بالمدارس الفرنسية مقارنة بينها وبين السنوات الفارطة.

---

(1) D. BOUCHE: P. 714.

(2) MADHA BANICAR: P. 49.

(3) D. BOUCHE: P. 701.

*(4) انظر جدول مقارنة عدد تلاميذ الكتاب والمدارس الفرنسية.

*(5) قارن جدول التعليم الفرنسي سنتي 1907 - 1912.

والجدول التالي يعطينا فكرة عن عدد تلاميذ المدارس الفرنسية خلال السنة المذكورة[1]*:

جدول عدد تلاميذ التعليم الابتدائي في السنغال في نهاية سنة 1912

المستعمرة	عدد السكان	عدد التلاميذ الذكور	عدد التلميذات الإناث	المجموع
السنغال	1.250.000	3.687	502	4.189

وتبدو هذه النتائج التي حصل عليها التعليم الفرنسي[2] في السنغال، هزيلةً إذا قورنت بعدد السكان من جهة، وبعدد الأطفال الذين بلغوا سن الدراسة من جهة أخرى، وذلك في نهاية سنة 1912.

وحسب الإحصاءات الرسمية للإدارة الفرنسية قد يكون عدد سكان السنغال، وعدد التلاميذ الذين بلغوا سن الدراسة، ونسبة التعليم الفرنسي في البلاد خلال السنة المذكورة كالتالي[3]:

- عدد سكان السنغال في سنة 1912: 1.250.000 نسمة.
- عدد التلاميذ الذين بلغو سن الدراسة: 150.000 نسمة.
- نسبة التعليم المحصل عليها في سنة 1912: 0.85%.

(1) D. BOUCHE: P. 701.

(2) إذا قارنا النتائج التي وصل إليها التعليم الفرنسي في إفريقيا الغربية في سنة 1909 مثلا، وسنة 1912 يتضح جليا التطور الذي حصل عليه التعليم الفرنسي في المنطقة، حيث كان عدد تلاميذ المدارس الفرنسية خلال السنة الأولى لا يتجاوز 1.698 تلميذا. أما خلال السنة الثانية فقد قفز العدد إلى ما يقرب من 15.369 تلميذا، بمعنى إن التعليم الفرنسي قد تضاعف ما يقرب من سبع مرات بين سنتي 1912-1909 في المنطقة.

(3) D. BOUCHE: P. 703.

ولكن هذا لم يمنع تطور التعليم الفرنسي في السنغال، وخاصةً ابتداءً من سنة 1912، إذ نلاحظ ازدياد عدد تلاميذ المدارس الفرنسية باضطراد، وذلك على حساب التعليم العربي[1].

وإذا كان التعليم العربي حتى هذه السنة المذكورة متفوقاً بعدد تلاميذه على التعليم الفرنسي في البلاد[2]، فإن متاعبه ومشاكله الخطيرة ستبدأ كذلك في نهاية هذه السنة الأخيرة.

3- التعليم الفرنسي في نهاية سنة 1917:

ولم تأت سنة 1917، حتى أنتشرت المدارس الفرنسية في السنغال أنتشاراً ملحوظاً. وتطلع المهتمون بقطاع التعليم إلى إنشاء التعليم الثانوى ثم الجامعي في البلاد. بعد أن كانت الأهتمامات الأولى كلها مركزة على التعليم الأبتدائي الذي يضم إلى جانبه التعليم الفلاحي، والتعليم الصناعي والمهني[3].

وفي هذا المجال زودت مدينة سان لويس في نفس السنة المذكورة بثانوية للتعليم العام، تضم كل فروع التعليم التي كانت موجودة آنذاك فى أوروبا، وتدرس فيها هذه العلوم بنفس الطرق التي تدرس بها في فرنسا نفسها[4].

أما في ميدان الطب فقد وجد نوع من التكوين للأهالي السنغاليين، يتلقى أصحابه تكويناً خاصاً تحت إشراف أطباء فرنسيين، وذلك لمدة زمنية معينة، ثم يمنح أصحابه رتبة «طبيب مساعد»[5].

وقد شهدت سنة 1917 إنشاء مدرسة المعلمين في السنغال، التي اهتمت بتكوين الممرنين والمترشحين لمدرسة المدرسين. وقد كانت هذه المدرسة تضم إلى جانب تكوين المعلمين فروعاً أخرى تابعة لها، تختص بتكوين موظفي البريد،

(1) D. BOUCHE: P. 703.

(2) انظر جدول مقارنة التعليم الفرنسي بالتعليم العربي في السنغال.

(3) G. HARDY: Une conquête Mor. L'Ens. en A. O. F. P.64.

(4) G. HARDY: Une conquête Mor. L'Ens. en A. O. F. P.64 - 65.

(5) G. HARDY: Une conquête Mor. L'Ens. en A. O. F. P.64.

والحسابة، والتمريض، والآلات الراقنة، إضافة إلى أنه في نفس السنة المذكورة قد شهد السنغال إنشاء مؤسسات تعليمية أخرى، مثل المدرسة المهنية، التي تختص بتكوين الطلبة السنغاليين في التجارة والحدادة. وترشح هذه المدرسة الأخيرة بعض تلاميذها النجباء إلى المدرسة العليا المهنية[1].

وعموماً فإن عدد تلاميذ المدارس الفرنسية في السنغال قد وصل إلى ما يقرب من 5.000 تلميذ، وذلك في نهاية سنة 1917[2].

ويتوزع هؤلاء التلاميذ عبر المراكز الهامة في البلاد، وذلك مثل: دكار العاصمة الإدارية لإفريقيا الغربية، ومدينة سان لويس العاصمة الثقافية للسنغال، وفي ريفيك، مدينة الكاكاوو، وزنغاشور وغيرها. إضافة إلى وجود مدارس ابتدائية أخرى موزعة على أطراف الخطوط الحديدية مثل: تياس، وكايس، وسالوم، وسين، والعازا ما نس وغيرها[3].

ولم تقتصر مجهودات الإدارة الفرنسية في ميدان التعليم الفرنسي على السنغال وحده، بل شملت تقريبا كل مناطق إفريقيا الغربية، وذلك مثل: غينيا[4]، والنيجر[5]، وساحل العاج[6]، والداهومي[7]، وموريتانيا[8]*.

---

(1) G. HARDY: Une conquête Mor. L'Ens. en A. O. F. P.65.

(2) G. HARDY: Une conquête Mor. L'Ens. en A. O. F. P.65.

(3) G. HARDY: Une conquête Mor. L'Ens. P. 65 et Suite.

(4) غينيا: قدر عدد تلاميذ المدارس الفرنسية في غينيا في نهاية سنة 1917 ما يقرب من 9.600 تلميذ. يوجد أكثرها في منطقة فوته جالون.

(5) النيجر: قدر عدد تلاميذ المدارس الفرنسية في النيجر خلال السنة المذكورة بما يقرب من 3.000 تلميذ. ويلاحظ أن هناك توازنا فيما يخص توزيع المدارس، حيث لم تهمل المناطق الصحراوية النائية مثل، ولاته، ولروان، الشيء الذي نلاحظه من بعض مناطق إفريقيا الغربية الأخرى.

(6) ساحل العاج: حققت نتائج حسنة في ميدان التعليم في ساحل العاج وذلك رغم أن المدارس كانت مرتكزة خاصة على سواحل البلاد.

(7) الداهومي: قدر عدد تلاميذ المدارس الفرنسية في الداهومي بـ 3.000 تلميذ في نهاية سنة 1917 وترتكز هذه المدارس خاصة على سواحل البلاد.

(8) موريتانيا: تعتبر موريتانيا بالنسبة للمناطق الاخرى في إفريقيا الغربية متأخرة نسبيا في ميدان التعليم الفرنسي ولم تعرفه إلا مؤخرا.

وتشير المراجع إلى أن عدد التلاميذ الأفارقة الذين يلتحقون بالمدارس الفرنسية قد قدر خلال سنة 1914 بما يقرب من 20.000 تلميذ؛ وقد ارتفع عدد المدارس الفرنسية بين سنتي 1911-1914 من 1.200 مدرسة إلى ما يقرب من 2.000 مدرسة في إفريقيا الغربية، وذلك إلى جانب حوالي 30 مدرسة متخصصة في تكوين الضباط العسكريين والمترجمين[1].

وفي نهاية سنة 1917 شهد السنغال إنشاء التعليم التقني العالي الذي شمل عدة مدارس، وهي كالتالي[2]:

- المدرسة المهنية العليا: مدرسة بيني لابارد.
- المدرسة الإدارية: مدرسة فيديرب.
- مدرسة للطباعة.
- مدرسة للفلاحة.

وذلك إلى جانب مدرسة للطب البيطري ومدرسة للطب البشري. وعموما فالجدول التالي يعطينا صورةً واضحةً عن التعليم الفرنسي في السنغال بمختلف فروعه، وذلك سنة 1907:

4- التعليم الفرنسي للكبار:

قد سبق وأن أشرنا إلى أن الإدارة الفرنسية في السنغال خلال السبعينات من القرن الفارط قد جعلت الوظائف الإدارية مقتصرة على السنغاليين الذين يحسنون اللغة الفرنسية، وذلك لدفع أهل البلاد إلى الإقبال على تعلم لغتها[3].

وقد وفرت الإدارة الفرنسية كل الشروط لنشر لغتها بين الأوساط السنغالية

(1) G. HARDY: Une conquête Mor. L'Ens. en A. O. F. P.65. et Suite.

(2) D. BOUCHE: P. 724.

(3) Madha Banicar: P. 50.

المستعمرة
السنغــال

إحصائيات التعليم العمومي
على مختلف أنواعه(1)

السنة : 1907

المدارس	عدد المدارس			عــدد الأساتذة		عــدد التلاميــذ		ميزانية المستعمرات	ميزانية البلدية	مجموع المصاريف
	ذ	ا	م	ذ	ا	ذ	ا			
الابتدائيــة	27	4	1	25 ف 40 س	27 ف 2 س	3.196	415	307.236	14.500	321.736
الابتدائية العليا	1			9 ف		56		54.430		54.430
الثانوى	1			1 ف		4		مدمجة فى مصاريف المدرسة الابتدائية العليا		
المهــني	3			3 ف		46	462	1.400		1.400
العائلــي	1	4			4 ف		62	3.100		3100
الفلاحــي	1	ماتم	1	1 ف 1 ف		8 18		8.00 200		8.00 200
الإداري	1			2 ف		14		مدمجة فى مصاريف المدرسة الابتدائية العليا		
التجــاري	1			1 ف		12				
دروس الكبــار	10			18 ف 5 س	5 ف	1293		16.200		16.200
المجمــوع	29	8	2	35 ف 40 س	27 ف 2 س	4.553	477	390.566	14.500	405.060

ملحوظة : ذ: ذكور ـ إ: إناث ـ ف: فرنسيون

على مختلف مستوياتها، من ذلك أنها نظمت دروساً مسائية للكبار تسمح لهم بتعلم اللغة الفرنسية بعد الانتهاء من أعمالهم اليومية[1].

وتذكر الوثائق الرسمية للإدارة الفرنسية أن المدارس المخصصة لتعليم الكبار في السنغال، بلغ عددها ما يقرب من 10 مدارس، يدرس فيها حوالي 28 أستاذاً. أما عدد تلاميذ هذه المدارس فقد بلغ ما يقرب من 1.293 تلميذاً، وذلك في نهاية سنة 1907[2].

وعموماً فالجدول التالي يبين لنا كيفية توزيع المدارس الليلية الفرنسية، وعددها، وعدد أساتذتها وتلاميذها: (انظر ص 121).

5- تعليم البنات:

يبدو أن تعليم البنات في السنغال، وغيره من بلدان إفريقيا الغربية لم يعرف أي تطور يذكر، وذلك حتى نهاية العشرينيات من القرن الحالي[3].

وقد اعتبرت الإدارة الفرنسية مشكل تعليم البنات في إفريقيا الغربية مشكلاً حساسا بالنسبة إليها، وقد عمدت إلى استعمال كل الوسائل لجذب البنات السنغاليات إلى مدارسها، ولكن بدون جدوى. وقد وقف الأهالى السنغاليون موقفاً سلبياً من تعليم بناتهم، وخاصة من إرسالهن إلى مدارس الرهبان البيض أو المدارس الحكومية الفرنسية[4]. وربما كانت التقاليد والعادات الاجتماعية من جهة والظروف الاقتصادية لأهل البلاد من جهة أخرى، هى التي حالت دون تعلم الفتاة السنغالية في هذه الفترة الزمنية[5].

وقد كان التعليم الفرنسي في السنغال مقتصرا على الذكور وحدهم؛ بحيث تذكر الإحصائيات عدد 400 تلميذة فقط يتعلمون في المدارس الفرنسية في إفريقيا الغربية مجتمعة، وذلك في نهاية سنة 1920[6].

---

(1) D. BOUCHE: P 783.

(2) ARCHIVES: S. O. M. Dossier Senegal No 10.*

(*) انظر جدول التعليم الابتدائي.

(3) انظر جدول تعليم البنات في إفريقيا الغربية بين سنتي 1904-1920.

(4) J. BOUCHAUD: P. 157.

(5) D. BOUCHE: P 777.

(6) Madha Banicar: PP. 33 et 50.

مستعمرة
السنغال

إحصائيات التعليم العمومي
التعليم الابتدائي للكبار(1)

السنة : 1907

الدائرة	عدد المدارس			عدد الأساتذة		عدد التلاميذ		المجموع العام		
	ذ	أ	م	ذ	أ	ذ	أ	عدد المدارس	عدد الأساتذة	عدد التلاميذ
سان لويس	4			13	2	599		4	15	599
دكار	1			3	2	176		1	5	176
قوري	1			2		93		1	2	93
ديفيك	1			2	1	235		1	3	235
زانقانشور	1			1		75		1	1	75
لوديو	1			1		35		1	1	35
دقانه	1			1		80		1	1	80
المجموع	10			23	5	1293		11	28	1293

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris- Dossier Senegal No 10.

وهذا العدد الأخير الذي أشرنا إليه، قد لا يمثل عدد البنات وحدهن، بل أدمج فيه كذلك عدد الأطفال الصغار الذين يتعلمون في مدارس الحضانة، الذين هم في أغلب الأحيان يفوقون بكثير عدد البنات[1].

أما عن تعليم البنات باللغة العربية، أي في الكتاتيب القرآنية[2] فهو كذلك لَمْ يَرَ ذلك التطور الذي رآه تعليم الذكور[3]. ويكاد يكون هناك نوع من التكافؤ بين التعليمين العربي والفرنسي في السنغال فيما يخص تعليم البنات، وذلك من حيث عدد التلميذات المنخرطات في كل من التعليمين، وعموماً فالجدول التالي يعطينا صورةً واضحةً عن تعليم البنات في إفريقيا الغربية، وذلك بين سنتي 1920-1904[4]:

جدول تعليم البنات بين سنتي 1904-1920

السنــة	عدد البنات في التعليم العمومي	في التعليم الحر	المجموع	مجموع الذكور
1904	842	926	1768	8276
1909	938	471	1409	11403
1912	1156	569	1725	13644
1917	899	1020	1919	17836
1920	400	700	1100	21200

* * *

(1) D. BOUCHE: P. 777.

(2) انظر جدول تعليم البنات (التعليم الحر).

(3) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاب في نهاية سنة 1913 في السنغال.

(4) D. BOUCHE: Même page.

الخاتمة

وقد آن لنا أن نلخص «فكرة» هذا البحث في النقاط التالية:

أولا :

قد يكون دخول الإسلام إلى غرب إفريقيا أهم حدث عرفته البلاد، بحيث أعطى الإسلام إلى المنطقة ديناً جديداً من جهة، ومنهاجاً حياتياً يختلف كل الاختلاف عن منهاج الحياة الوثنية التي كان يعيشها الأهالي من جهة أخرى. وقد تقبل الأفارقة بصفة عامة الإسلام بصدر رحب، ذلك لأنه كان يتلاءم مع أوضاعهم الاجتماعية والثقافية، وذلك منذ القرن العاشر الميلادي. ويعتبر بعض الباحثين الأفارقة الإسلام «دينا تقليديا في البلاد»[1]، أى من بين الديانات القديمة الهامة، ولعلها الديانة الوحيدة التي لايضاهيها انتشار آخر سوى انتشار لغتها وثقافتها في إفريقيا.

ويرجع الفضل إلى الإسلام في إخراج القارة السمراء بأكملها، من عزلتها الحضارية والسياسية التي كانت تتخبط فيها. وقد فتح الإسلام بدخوله إلى القارة، وذلك منذ القرن السابع الميلادي، أبواب الاحتكاك والتفتح على العالم الخارجي؛ وقد حمل الإسلام إلى القارة عاملين حضاريين يعتبران من أهم العوامل الحضارية التي ساعدت القارة الإفريقية على استيعاب المفاهيم الحضارية بشكل جيد وهما: الكتابة العربية، واللغة العربية. علماً بأنه لم تكن لإفريقيا كتابة قبل دخول الإسلام[2] إليها.

---

(1) Amar SAMB: P. 28.
(2) R. MAUNY: P. 5.

يدعى جل المؤلفين الغربيين أن العرب فرضوا دينهم وحضارتهم بالحديد والنار على افريقيا[1]؛ بينما الواقع ليس كذلك، بحيث عمل العرب دائما على ملاءمة دينهم وثقافتهم مع الأوضاع الاجتماعية والثقافية لإفريقيا وتفادوا اللجوء إلى استعمال العنف ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، بإستثناء بعض نشاطات المرابطين لفترة محدودة في الجنوب الموريتاني حاليا وبعض مناطق حوض السنغال.

أليس الأولى بنا أن نقول: بأن السودانيين أنفسهم هم الذين فرضوا أحيانا؟!

ثانيا :

تتمتع اللغة العربية بمكانة مرموقة بين الأوساط الإفريقية، باعتبارها لغة الدين الذس يدين به ما يقرب من 95% من سكان غرب إفريقيا. وقد كان انتشار اللغة العربية في أغلب الأحيان مسايرا لانتشار الإسلام.

وقد ساهمت اللغة العربية في إثراء وتطور اللغات المحلية في إفريقيا بما يقرب من 50%[2]. وربما بقيت هذه اللغات المحلية بدون كتابة لولا اللغة العربية. ومن ثم وجد نوع من التلاحم بين الحضارتين العربية والإفريقية. ويتجسد هذا التلاحم، الذي يرجع تاريخه إلى القرن السابع الميلادي، في حفريات كل من كمبي صالح وأودغوست. وقد أثرت الحضارة العربية فى الحضارة الإفريقية تأثيرا ملحوظا؛ ذلك لأن الحظ التراثي للحضارة الأولى أكثر بكثير من حظ الثانية. وليس هناك ما يدل على ذلك سوى المراكز الثقافية الإسلامية التى أسست منذ مطلع القرن الثالث عشر الميلادى في غرب إفريقيا؛ والتي كان إنتاجها الثقافي يناهز إنتاج المراكز الثقافية الإسلامية التي كانت موجودة في البلدان العربية[3].

---

(1) A. GOUILLY: P. 252 - R. ARNAUD: P. 75 V. MONTEUIL: P. 275.

(2) V. MONTEUIL: P. 252.

(3) عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا، الجزائر، 1988.

ثالثا:

يعتبر التعليم العربى «التقليدي» المتمثل في الكتاتيب القرآنية في غرب إفريقيا الدرع الواقي للحضارة العربية الإسلامية في البلاد، ووسيلة من الوسائل العامة للتطور الثقافي الإسلامى في المنطقة.

وقد لعبت قبائل الفلان، والتكرور، والوولوف على الخصوص دورا هاما في ميدان نشر الثقافة العربية فى غرب إفريقيا من جهة، ونشر الإسلام من جهة أخرى. وقد قدر عدد تلاميذ الكتاب فى السنغال مثلاً فى مطلع هذا القرن بما يقرب من 14.000 تلميذ. وبدون شك فهؤلاء التلاميذ يمثلون عاملا هاما من عوامل التقدم الاجتماعي والثقافي، ونشر التعريب في المنطقة. ويعطي الأفارقة أهمية قصوى لحفظ القرآن الكريم، ويعاقبون أبناءهم أشد العقوبات إذا قصّروا في حفظه. وقد تبدأ تربية الولد في المنزل أو الخيمة، وما إن يدرك هذا الطفل العهد الذي يستطيع فيه أن يحسن النطق حتى يتولى أبواه أمر تعليمه، ومن ثم تتجلى رغبة الأفارقة فى تعلم اللغة العربية والتمكن منها. ولا يتعلم هؤلاء التلاميذ اللغة العربية من الجانب الديني فحسب، بل كذلك ليندمجوا في ثقافة وحضارة راقية. ومن أجل ذلك ينتقل الطلبة الأفارقة بعيدا عن ديارهم إلى العواصم الإسلامية طلبا للعلم.

وقد تتجلى أهمية اللغة العربية، وبالتالى التعليم العربي فى المنطقة فى مراكز الكتاتيب القرآنية التي تنتشر عبر البلاد.

ومن أهم مراكز الكتاب في السنغال، مدينة دكار التي يوجد بها ما يقرب من 30 كتابا، ولوكا التى تحتوى على حوالى 147 كتابا، وباؤول التي تشمل ما يقرب من 134 كتابا، وريفيسك التي يوحد بها حوالى 14 كتابا، وسان لويس التي تضم ما يناهز 77 كتابا، ومنطقة كايور التى تحتوي على ما يقرب من 228 كتابا. وعموما فقد قدر عدد تلاميذ التعليم العربي في نهاية سنة 1912 بما يناهز 11.451

تلميذا في السنغال، بينما يقدر عدد المدارس الفرنسية بما يقرب من 633 تلميذا خلال نفس السنة المذكورة[1].

أفَلاَ يدل هذا على رغبة السنغاليين في تعلم اللغة العربية دون الاهتمام باللغة الفرنسية؟

وكان لمن يُدرس في الكتاب معلما كان أو فقيها منزلة عالية في الهيئة الاجتماعية، وربما فاقت هذه المنزلة منزلة أصحاب المناصب الدنيوية.

رابعـــا :

لقد أدهشت رغبة الأفارقة في تعلم اللغة العربية وتمسكهم بالثقافة العربية الإسلامية الحكام الفرنسيين للبلاد، ووقف هؤلاء الحكام موقفا مناوئا من التعليم العربى في البلاد خاصة والثقافة العربية عامة[2].

ويتجلى ذلك واضحا في تقارير كل من فيديرب الذى حكم في السنغال بين سنتي (1854 - 1865)، وباربيى المسئول السامي للبعثات التبشيرية، وفي بعض كتابات المؤلفين الفرنسيين مثل: ارنورويير، ولوسيان هوبير، وبول مارتي، وفانسان ولوسيان مونتوي، وغيرهم.

لقد وقفت الإدارة الفرنسية موقف الند من التعليم العربي فى السنغال، ولم تدخر جهدا في عرقلته، وسعت جاهدةً للحد من نشاطه في البلاد.

ويتضح ذلك جليا في قرارات حكام السنغال الفرنسيين وخاصة منها قرار فيديرب الذي أصدره فى 22 / 6 / 1857. وقرار حوبير الذي أصدره في سنة 1870، وقرار ماتيفير الذي أصدره سنة 1896. إضافة إلى قرار ويليام بونتى المشهور الذي أصدره بتاريخ 8 / 5 / 1911، والذي منع استعمال اللغة العربية في المحاكم الإسلامية.

---

(1) ARCHIVES: S. O. M. Paris Dossier Senegal No 10.

(2) انظر رسالة فيديرب: بتاريخ 1856/7/9 ـ ملحق رقم 3.

لكن ما هو مدى تأثير هذه القرارات الأخيرة في تطور التعليم العربى في غرب إفريقيا؟

إن أقل ما يقال عن محتوى قرارات حكام السنغال خلال العهد الفرنسي، إنها نموذج للتعصب والإجحاف وعلى الرغم من ذلك لم تؤثر بطريقة أو بأخرى على تطور التعليم العربي فى البلاد؛ وذلك باستثناء مدة قصيرة تتمثل في عام واحد وهو عام 1904، الذي أصدر فيه فى ريسون قراره المتعلق بتقليص عدد الكتّاب في البلاد. وفي السنة الموالية باء القرار الأخير بالفشل كسابقيه، وتصدى معلمو الكتاب مرة أخرى لكل تيار مناوئ لهم ولمهمتهم وخرجوا مظفرين من المعركة.

وليس هناك ما يدل على ذلك سوى تزايد المدارس العربية بين سنتى 1909 و 1912، حيث قدرت الإدارة الفرنسية نفسها عدد تلاميذ الكتّاب خلال السنة الأولى بما يقرب من 10.717 تلميذا، وقد ارتفع هذا العدد الأخير خلال السنة الثانية ليبلغ حوالي 11.415[1].

أليست هذه.. حجة قاطعة على فشل مساعي الإدارة الفرنسية لعرقلة نشاط التعليم العربي فى غرب إفريقيا؟

خامسا :

لقد احتكرت البعثات التبشيرية في السنغال الميدان التعليمى في أول أمره، وسعت جاهدةً لتمسيح السنغاليين، واستعملت من أجل ذلك وسيلتين بالغتي الخطورة. أما الوسيلة الأولى فتتمثل في توفير الخدمات الاجتماعية واستغلال الوضعية الاقتصادية المتدهورة للسكان، والوسيلة الثانية تمثلت في إنشاء المدارس المسيحية التي سيطرت على قطاع التعليم بما يقرب من 85%.

وقد عمد المبشرون البيض في بعض الأحيان إلى استعمال القوة والإكراه، وذلك لتنصير بعض الأفارقة المسلمين[2].

وقد أثارت قضية تمسيح السنغاليين خلافات حادة بين المذهبين الكاثوليكي من

(1) انظر جدول مقارنة الكتاب بين ستي 1909 - 1912.

(2) انظر الوثيقة الخاصة بهذا الموضوع فى الملحقات.

جهة والبروتستنتي من جهة أخرى. وربما كانت هذه الخلافات السبب الرئيسي في فشل عملية التمسيح في غرب إفريقيا. وقد أدرك المبشرون البيض أهمية المدرسة. فجعلوا منها وسيلة للتقرب من أهل البلاد، كما اتخذوا من اللغة العربية وسيلة لطمأنة السنغاليين وتعلم بعضهم اللغة العربية ليسهل عليهم الاتصال بالمواطنين.

وقد بذل الآباء البيض مجهودات جبارة قصد التنصير الجماعي للأفارقة. لكن هذه المجهودات باءت بالفشل في أغلبها إذا قورنت بالأعمال المادية والأدبية التي بذلت في هذا المجال.

وقد يكون الشكل الأساسي الذى واجه المبشرين البيض، هو مشكل إنشاء عائلة إفريقية مسيحية على غرار العائلات المسيحية الأوروبية. وقد استعمل الآباء البيض كل الوسائل لبلوغ هذه الغاية ولكن بدون جدوى.

وقد ترك التعليم التبشيرى آثارا سيئة في الميدان الاجتماعي بحيث خلق هوّة بين الرجل والمرأة[1]، ذلك لأن المرأة السنغالية بقيت على عاداتها وتقاليدها ولم تلتحق بالمدرسة الفرنسية بل لم تتعلم إطلاقا، بينما تعلم الرجل السنغالى في المدارس التبشيرية وتأثر بنوع من الحضارة الغربية، أصبحت منهاجه الحياتي، ولذلك قل إقبال الشبان المتعلمين على النساء الإفريقيات، واتجه هؤلاء المثقفون بالثقافة الغربية إلى النساء الأوروبيات وتزوجوهن. فضلا عن أن هذا النوع من التعليم يفقد الناس صفتهم الإفريقية ويجعلهم فرنسيين.

أما من الناحية الدينية فقد أدرك الأفارقة، الذين تمسحوا، أن الأوروبيين أنفسهم لا يعطون الدين أي حجم، زيادة على أن المبشرين لم يحترموا عادات وتقاليد البلاد الموروثة. وقد قطع التعليم التبشيري كل صلة بماضي الأفارقة مما أدى إلى اضطراب نظم الأسرة وازدياد مشاكلها وتعقيدها[2].

---

(1) J. BOUCHAUD: P. 250.

(2) عبد الحليم عويس، المرجع السابق.

سادسا :

اعتبر الاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا اللغة الفرنسية والديانة المسيحية، مظهرين من مظاهر التبعية والسيطرة على الشعوب الإفريقية، لذلك حرص على نشر لغته وديانته بين أوساطها، إدراكا منه أنه سيعود على أعقابه عاجلا أو آجلا، وأن الشعوب ستستيقظ يوما ما لا محالة، لذلك عمل الاستعمار الفرنسي، على رسم خطة سياسية، تتمثل في خلق نخبة من السنغاليين موالية له تتكلم لغته، وتدين بديانته وتفكر بأفكاره. وفعلا فقد نجح الاستعمار الفرنسى فى مشروعه هذا، بحيث استطاع أن يترك أعوانا له، ليس فى السنغال فحسب بل فى كامل القارة الإفريقية، وعملاء له يسهرون على مصالحه فى القارة بوفاء وإخلاص.

ومن المؤسسات التعليمية في السنغال التي كرسها الاستعمار الفرنسى لخدمة هذه الغاية، مدرسة الرهائن، التي أنشأها في سنة 855م، ومدرسة أبناء رؤساء القبائل، ومدرسة بنات رؤساء القبائل، والمدارس الفرنسية الإسلامية، التى بدأ في إنجازها منذ نهاية القرن السابق. وكان الهدف من إنجاز هذه المؤسسات المذكورة سياسي بحت[1]، يهدف إلى إنشاء نخبة إفريقية متأثرة بالثقافة الغربية وموالية للاستعمار الفرنسي في البلاد.

لقد أدركت الإدارة الفرنسية الدور الهام، الذى تلعبه المدرسة لضمان مصالحها في إفريقيا، لذلك سعت جاهدة إلى تطوير هذا القطاع منذ تسلمها المنطقة من قبل بريطانيا في سنة 1816. غير أن التعليم الفرنسى في إفريقيا لم يعرف تطورا يذكر إلا في عهد فيديرب (1854 - 1865). الذي أدخل عليه إصلاحات جذرية. وقد شاهد قطاع التعليم في عهد هذا الأخير تطورا ملحوظا.

أما بعد فيديرب فقد ساد قطاع التعليم الفرنسي في السنغال فتور كبير، ولم

(1) A. SARRAUT: P. 400.

يستطع خلفاؤه إنقاذه، وقد دامت وضعية تدهور التعليم الفرنسي في البلاد حتى بداية العقد الثانى من هذا القرن.

وأمام تدهور التعليم الفرنسي فى إفريقيا، اتخذت الإدارة الفرنسية اللغة العربية، أي التعليم العربي وسيلة لإنقاذه، وهاجمته بعنف، وحملت التعليم العربي مسئولية كساد التعليم الفرنسى.

وعمدت الإدارة الفرنسية إلى اتخاذ قرارات تهدف أساسا إلى تطوير التعليم الفرنسي على حساب التعليم العربى المتمثل في الكتاتيب القرآنية.

لقد أصدر فيديرب[1] خلال حكمه للسنغال قرارا (2 / 6 / 1857) يهدف إلى تدعيم التعليم الفرنسي في البلاد، وإخضاع الكتاب لرقابة شديدة، وعرقلة مسيرتها الطبيعية. أما الحاكم فالير فقد أقر إجبارية تعليم اللغة الفرنسية على معلمي الكتاب ليعلموها بدورهم إلى تلامذتهم، وذلك في 28 / 2 / 1870. وفي نهاية نفس السنة المذكورة أصدر الحاكم حوبير قرارا جاء تأكيدا لقرار نظيره فالير، والذي ألح خصوصا على تعليم اللغة الفرنسية في الكتاب من طرف معلمي الكتاب.

أما الحاكم ماتيفير فقد أصدر قرارا في سنة 1896، يهدف أساسا إلى وضع حد لمنافسة التعليم العربي للتعليم الفرنسي في البلاد، وذلك بغلق أبواب التعليم الأول خلال الساعات التي يفتح فيها أبوابه التعليم الثاني. وفي سنة 1913 أصدر قي ريسون قرارا كانت الغاية منه تقليص عدد الكتاب في السنغال قدر ما أمكن. وقد نجح في برنامجه هذا نسبيا، ولكن خلال سنة واحدة فقط، ثم استغنى عن البرنامج.

وعموما لم تؤثر القرارات المذكورة في المسيرة الطبيعية للتعليم العربي في غرب إفريقيا، وبقي جلها، إن لم نقل كلها حبرا على ورق، وذلك بفضل رغبة السنغاليين في تعليم اللغة العربية والتمسك بها.

---

(1) R. DELAVIGNETTE: Faidherbe Paris 1946.

سابعـا :

إن أمر تفوق التعليم العربي على التعليم الفرنسي فى غرب إفريقيا، خلال العهد الاستعماري للبلاد، أمر لا يختلف عليه اثنان، وحقيقة تاريخية تجـدها الإحصاءات الرسمية للإدارة الفرنسية نفسها.

ومما لا شك فيه فإن اللغة العربية قد استطاعت أن تفرض نفسها أمام اللغة الفرنسية مدة تفوق القرن (الواحد) خلال العهد الفرنسي. ويبدو أن سبب ذلك راجع إلى اعتناق الأفارقة للدين الإسلامي عن عقيدة وإخلاص، ومن ثم نمت وتطورت رغبتهم في الميل إلى اللغة العربية، باعتبارها عاملا حضاريا لا يتجزأ عن الدين الذي يدينون به. ثم إن اللغة العربية قد تعتبر لغة تقليدية بالنسبة للأفارقة، علما بأن انتشارها بدأ بدخول الإسلام إلى البلاد، وذلك خلال القرن السابع الميلادي؛ بمعنى أن اللغة العربية توطدت أركانها في البلاد منذ قرون عديدة قبل الاحتلال الفرنسي لهذا الجزء من القارة السمراء، لذلك لم يكن من السهل على الاحتلال الفرنسي أن يثني رغبة الأفارقة في تعليمها، وأن يعوضها في مدة وجيزة بلغته التي حملها معه. وقد انتشرت اللغة العربية بين الأوساط الإفريقية على جميع مستوياتها دون أبسط الضغوط، ولم يلجأ أصحابها إلى استعمال أي وسيلة من وسائل الترغيب أو الإغراء لتعلمها، وذلك عكس ما عمد إليه الفرنسيون لنشر لغتهم في السنغال كما مر بنا.

وقد كان إقدام الأفارقة على تعلم اللغة العربية عن طبع وسليقة. ولو أن رواد اللغة العربية الأوائل أرادوا استعمال الترغيب والإغراء، لما وجدوا لذلك سبيلا، وذلك لسبب بسيط، وهو عدم توفر الإمكانيات المادية لديهم.

إذن استطاعت اللغة العربية أن تفرض نفسها بنفسها، أمام منافس جبار عنيد، ألا وهو الاستعمار الفرنسي، معتمدة في ذلك على ذخيرة لا تفنى تجسدت في

(1) في هذا الصدد لجأت الإدارة الفرنسية إلى إنشاء مؤسسات خاصة مثل: مدرسة أبناء القبائل 1856 - ومدرسة بنات رؤساء القبائل - ومدرسة الرهائن، وغيرها.

الروح المعنوية التي كان أصحابها يتمتعون بها في غرب إفريقيا، ويتجلى ذلك واضحا في رفض معلمي الكتاتيب القرآنية لمنشور يونيه 1906، الذي عرض على كل معلم قد يتطوع لتدريس اللغة الفرنسية لتلاميذه مدة ساعتين أسبوعيا بمبلغ 300 فرنك فرنسي سنويا.

ومثل هذه المواقف إزاء اللغة الفرنسية من طرف معلمي اللغة العربية في السنغال عديدة.. من ذلك أنهم رفضوا برنامج فاليير الذى أقر إجبارية تعلم اللغة الفرنسية عليهم سنة 1870. وفي نفس السنة لم يمتثلوا لقرار خليفة فاليير السيد جوبير، الذي أصدر قرارا مماثلا جاء تأكيدا لقرار زميله فاليير.

لقد ذهب بعض المؤلفين الفرنسيين[1] إلى القول بأن معلمي الكتاب في غرب إفريقيا، لم يحترموا أبسط الحقوق الإنسانية ورموهم باستغلال الأوضاع المؤسفة لتلاميذهم وتسخيرهم لمآربهم الشخصية. كما أنهم يدفعون تلاميذهم إلى الشحاذة والسرقة والأعمال التي تتنافى مع «الأخلاق والقانون»، لكن هذه الادعاءات لا تمت إلى الحقيقة بصلة وكان الغرض منها هو خلق جو متوتر، وزرع الشكوك والدسائس بين صفوف متعلمي اللغة العربية ومعلميها، وذلك ليصفو الجو ويفسح المجال أمام اللغة الفرنسية.

إن الحكام الفرنسيين في السنغال، وفي مقدمتهم موزعو الأناجيل أدركوا بساطة مكانة اللغة العربية في البلاد، والخطر الذي تمثله بالنسبة لوجودهم في البلاد من جهة ونشر لغتهم وثقافتهم من جهة أخرى. لذلك لم تدخر الإدارة الفرنسية جهدا لمحاربة اللغة العربية في غرب إفريقيا، وعرقلة مسيرتها من حين إلى آخر، ويظهر ذلك جليا في قرارات حكام السنغال الفرنسيين التي سبق وأن تطرقنا إليها.

وقد عمدت الإدارة الفرنسية إلى استعمال عدة وسائل للقضاء على اللغة العربية في السنغال. نذكر منها على الخصوص ما يلي:

---

(1) D. BOUCHE: P. 277- V. MONTEUIL: P. 253.

أ ـ إفساح المجال الواسع أمام الإرساليات التبشيرية للعلم، ومساندتها ماديا وأدبيا.

ب ـ إنشاء المعاهد الفرنسية الإسلامية، لمنافسة التعليم العربي الحر، واتخاذ اللغة العربية وسيلة للتقرب من الطلبة الأفارقة، علماً بأن اللغة العربية في هذه المدارس تدرس كلغة أجنبية.

جـ ـ محاولة فرض رقابة شديدة على الكتاتيب القرآنية وعرقلة مسيرتها الطبيعية، التي تمثلت خاصة في قرارات فيديرب، وما تيفير، وجوبير، وفالير، وقى ريسون، وأخيرا وليام بونتي.

د ـ اقتصار الوظائف الحكومية على الأفراد الأفارقة المتعلمين باللغة الفرنسية.

هـ ـ إنشاء قطاع تعليمي فرنسي حيث يؤهل الأفارقة لاستيعاب الحضارة الغربية والاندماج كليا فيها، لغة، ودينا، وفكرا.

و ـ محاربة اللغة العربية نفسها بنفسها، وذلك باتخاذها وسيلة لجذب التلاميذ السنغاليين إلى أحضان المدارس الفرنسية وتعليمها مؤقتا في المدارس الأخيرة حتى يستتب لها الأمر ثم يستغنى نهائيا عن اللغة العربية.

هذه هي بعض الوسائل الهامة التي استعملتها الإدارة الفرنسية في غرب إفريقيا للقضاء على اللغة العربية. وإذا كانت هذه الوسائل قد بقيت مدة من الزمن بدون مفعول ولم تبرز نتائجها على المدى الذي سيطرت خلاله الإدارة الفرنسية، فإن مرور الزمن قد برهن على فعاليتها وتأثيرها تدريجيا على الجماعات الإفريقية.

أما عن كيفية إنشاء نخبة موالية لفرنسا في إفريقيا لغويا ودينيا وأيديولوجيا، فإن الوسائل التي عمدت الإدارة الفرنسية إلى استعمالها تتلخص كما يلي:

أ ـ قد تكون المدرسة الوسيلة الهامة، بل الوحيدة التي اعتمدت عليها الإدارة الفرنسية في إنشاء نخبة موالية لها[1]. ولقد ركّزت الإدارة الفرنسية في

(1) D. BOUCHAUD: P. 252.

مدارسها خاصة على اللغة الفرنسية ودروس التربية الموجهة حسب سياسة استعمارية مخططة.

ب ـ كما لعبت أديرة التبشير، التي أُنيطت لها مهمة تمسيح أكبر عدد ممكن من الأفارقة دوراً مهما في تكوين النخبة الموالية لفرنسا، وذلك انطلاقا من تربيتهم تربية دينية مسيحية وأهداف تتمشى وأهداف الإدارة الفرنسية الاستعمارية خاصة، وتعليمهم اللغة الفرنسية خاصة وتاريخ الحضارة الغربية عامة.

جـ ـ قد يكون استغلال الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للأهالي الأفارقة أخطر وسيلة استعملتها الإدارة الفرنسية لإدماجهم في ركب حضارتها، إضافة على أنها عمدت في أغلب الأحيان إلى فرض لغتها بطريقة أو بأخرى كما مر بنا.

د ـ لقد لجأت الإدارة الفرنسية فى إفريقيا إلى إنشاء مؤسسات سياسية بحتة، تهدف أساسا إلى تجريد السنغاليين من شخصيتهم القومية وإدماجهم كليا في الحضارة الغربية، ومن هذه المؤسسات مدرسة الرهائن ومدرسة رؤساء القبائل ومدرسة بنات رؤساء القبائل والمعاهد الفرنسية والإسلامية وغيرها.

ثامنـا :

تعتبر اللغة العربية في غرب إفريقيا لغتها الدينية والفكرية والحضارية على المستوى الشعبى، حيث إن اللغة العربية تعتبر من بين اللغات المنتشرة بين الجماهير الشعبية والمعروفة لدى أغلب سكان البلاد، ويمكن التعامل بها فى الأسواق والأماكن العمومية، فضلا عن وجود عدد كبير من دور العلم والمساجد. وإذا ما أخذنا مثلا اللغة الساحلية المستعملة بكثرة في السنغال أو الولوفية نجد أنهما اقتبستا كثيرا من اللغة العربية بحيث تعتمد اللغتان الساحلية والوولوفية على حوالي خمسين فى المائة[1] من كلماتهما على العربية إما أصلا أو اشتقاقا؟ إن المسلمين فى غرب إفريقيا يشكلون الأغلبية السكانية (95%) وهم يحرصون

(1) V. MONTEUIL: P. 252.

جميعا على تعلم اللغة العربية. ومن ثم فإن للغة العربية أرضية واسعة في البلاد، منذ أن دخلت في ركاب الدعاة والتجار المسلمين، وأصبحت لغة الأدب والعلم والتعامل. ولا شيء يدل على عمق مكانة اللغة العربية في غرب إفريقيا سوى أن المراجع التاريخية القديمة أكثرها ـ إن لم نقل كلها ـ باللغة العربية.

وفي هذا المجال يقول أحد الكتاب الأوروبيين معبرا عن مدى ارتباط إفريقيا بالعربية لغة وحضارة: «إننا اذا نزعنا الوثائق التاريخية باللغة العربية لا يبقى ثمة تاريخ يعتد به لإفريقيا السوداء». وقد قال أحد وزراء زنجبار في ذلك: «يكفي للتدليل على مكانة لغة العرب بالنسبة لإفريقيا أن نعلم أنه لا يوجد فى اللغة السواحلية كلمة مرادفة لكلمة تحضر أو تمدين سوى كلمة «تعريب»، فإذا أردنا أن نتحدث عن مشروع لتطوير قرية زراعية قلنا: «تعريب تلك القرية»[1].

وهذه الكلمة الوحيدة قد تدل على تاريخ مجيد طويل.. إنه تاريخ علاقة إفريقيا بالعرب حضارة ولغة وفكرا ودينا.

وفي الحقيقة فإن القاعدة الشعبية في إفريقيا لازالت إلى حد كبير، تنتمي إلى العربية لغة وفكرا، وإلى الإسلام دينا وحضارة.

* * *

(١) د/ عبد الحيم عويس: المسلمون في إفريقيا بين الحاضر والمستقبل، مجلة الأصالة، عدد 43/42 فبراير/ مارس 1977 ص 68.

ملحقات البحث

ملحـــق رقم (1) :

رسالة السيد باربي (BARBIER) مسئول
سامي قديم للبعثات التبشيرية في السنغال بتاريخ باريس 29 مايو 1956 (1)

أساند بكل قواي طلب السيد كارير[1] (CARRERE) القاضي باستعمال وسائل جدية للوصول إلى تهديم المسجد، (ص 356)، وكذلك تنفيذ الوسيلة السهلة التي اقترحها لتثقيف الشبيبة الإسلامية، وطرد المرابطين الغرباء، تقليص الأماكن التي يعمل فيها هؤلاء المرابطون، وحصرهم في حيّز من أحياء سان لويس، وقبولهم كأساتذة بعد امتحانهم، ومراقبتهم، ووضع مساعدين لهم من المعلمين الملائكيين لكي يتعلموا اللغة الفرنسية (ص 361). ولكن يجب أن يكون هؤلاء الملائكيون ذوي أخلاق يعتمد عليها. لذلك يمكننا أن نتجه إلى السيد المسئول السامي للبعثات التبشيرية سان إسبري (St Esprit)، وسان كور دوماري (Stcoeur de Marie). كما فعلنا عندما اقتضى الأمر بالمارتينيكان (La Marti-nique) وقاد ولوب (Gadaloupe).

وقد أجلب انتباهكم سيادة المدير، إذا سمحتم لي إلى مشروع السيد كاريو القاضي (بإنشاء القرى المسيحية عبر نهر السنغال (ص 372).

إمضـــاء : باربي

(1) ARCHIVES: "S. O. M" Paris Dossier Senegal No 10.

ملحـــق رقم (2) :

رسالة الحاكم العام بخصوص تعليم اللغة الفرنسية للسنغاليين المسلمين[1]

فوري 9 يوليو 1856

مديرية المستعمرات
مكتب التشريع
والإدارة

ســيادة الوزيـــر

أستعجل للرد على برقيتكم المؤرخة بتاريخ 16-5-1856 رقم 163، لتصليح خطأ قد أكون ارتكبته خلال مراسلاتي السابقة، معبر لكم تعبيرا رديئا أو لم أعبر قط، وذلك عندما طلبت منكم لعدة مرات معلمين للمدارس الفرنسية ليعلموا اللغة الفرنسية للشبيبة السنغالية التي لا تدين بالمسيحية.

لقد اعتقدتم أنني أطلب منكم إرسال مستشرقين للسنغال، ولكن الأمر أبسط من ذلك ويتعلق بمعلمي التعليم الابتدائي فقط. إن الرغبة التي يبديها الزنوج في تعلم اللغة العربية لهي مصيبة بالنسبة إلينا وعلينا أن لا ننمي هذه الرغبة. إن اللغة الفرنسية هي التي يجب علينا أن نعلمهم إياها وهذا لمصلحتنا الخاصة، ولكن لحد الساعة لم نضع أية وسيلة تحت تصرف الزنوج لهذا الغرض.

ومن بين 50.000 من الأهالي الأفارقة الذين تضمهم اليوم مستعمرة السنغال ألفين (2.000 من المسيحيين لهم مدارس دينية، لكن 48.000 مسلم ليس لديهم وسيلة لتعلم لغتنا ليقتربوا منا ويندمجوا في حضارتنا ولكم النظر سيادة الوزير، إذا كانت هذه الوضعية تشرف فرنسا.

وتقبلوا سيادة الوزير من قبل خادمكم الأمين فائق الاحترام

إمضاء: الحاكم العام للسنغال، فيديرب

(1) ARCHIVES: "S. O. M" Paris Dossier Senegal No 10.

ملحــق رقم (3) : **رسالة لي بخصوص وضعية مدرسة سان لويس ومدارس إفريقيا الغربية[1]**

بمبادرة من السيد سلانك (SALANEC) مدير مدرسة سان لويس، وبعد اتفاق مع السيد قدان (GASEN) رئيس المكتب السياسي، الذي يشرف على المدرسة، فالإصلاحات، الآتية: «وإليكم نسخة منها» قد اقترحت خلال شهر أكتوبر الماضي على السيد المفتش العام للتعليم لإفريقيا الغربية. وجواب دكار فيما يخص هذه الاقتراحات لم يرد. وذلك حتى أول جانفي من السنة الحالية، سان لويس (مدرسة ومكتب سياسي) في إلحاح ورغبة شديدين لتطبيق الاصطلاحات المقترحة بصفة رسمية، علما منهما بأن الجواب على الاقتراحات سيتنظر طويلا، وقد كنت في تلك الآونة مارا بمدينة سان لويس: وبنصائح مني سرعان ما شرع في العمل، وهذا النظام الجديد بقي معمولا به منذ ذلك الوقت.

وقد أعلمت السيد هاردى، (G. HARSY) المفتش، الذى وقف موقفا مساندا من المشروع، وسيجيب عن مدرسة سان لويس والمكتب السياسي المشرف عليهما بصفة إيجابية. وقد طلب مني هذا الأخير بأن أعطيه رأييّ في التغييرات هذه: وقد بعثت له بالمذكرة هذه (الملحقة بالرسالة).

إن المدارس تابعة أولا وقبل كل شيء إلى الحكام العسكريين الذين يحكمون المنطقة. أما في الرئاسة العامة فإن هناك تضاربا في الآراء فيما يخص الهيئة أو المصلحة الإدارية التى تشرف بالضبط على هذه المدارس، وكذلك فيما يخص الكتاتيب القرآنية.

فأحيانا توجه الوثائق المتعلقة بالمؤسسات المذكورة إلى مفتش التعليم هارى، (G. HARSY) وأحيانا إلى مديرية الشئون الإسلامية، وهذه الوضعية المتذبذبة

(1) ARCHIVES: "S. O. M" Paris Dossier Senegal No 10.

لم تنتج عنها أية صعوبة وذلك بفضل تطابق آراء المصلحتين المذكورتين تطابقا تامّا. إن السيد هاردي (HARDY) قد أدرك عدم كفاءته في الإشراف على التعليمين الفرنسي من جهة والإسلامي من جهة أخرى، لذلك يحبذ هذا الأخير بأن تبقى مديرية الشئون الإسلامية تشرف على التعليم الإسلامي (مدارس وكتاتيب قرآنية) وقد أرسل لي كل الملفات المتعلقة بالتعليم الأخير (مدرسة سان لويس جني، توبه بغينيا)، وفي الحقيقة فإني لست متحمسا كثيرا لهذا العبء الجديد، نظرا لأشغالي المتعددة، منها السياسية والإدارية، وقد لا أجد الوقت الكافي للاهتمام بالتعليم العربي الإسلامي إلا بعد أشهر طويلة، وليس هذا يعني عدم اهتمامي بالموضوع، غير أنه إذا اقتضت الحاجة اتخاذ قرارات مستعجلة في هذا الأمر فإني لا أتأخر من أجل ذلك ولو لحظة واحدة.

يبدو لي أن مدرسة جني تعمل حتى الوقت الراهن، ولكن أتذكر بأن السيد كليال (CLIYEL) قد أخبرني، أثر مغادرته البلاد إلى فرنسا، بأنه ينوي غلقها. فعلا فإن هذه المدرسة موجودة في وسط منطقة صعبة، وخاصة بعد منع الرق، فجهودنا في تقهقر مستمر، وهذه المدرسة لم تقم بمهمتها في يوم من الأيام؛ وذلك لعدم وجود الأساتذة من جهة والتلاميذ من جهة أخرى.

يبدو لي بأن مدرسة تمبتو تسير سيرا حسنا وقد ألحق بالمدرسة معلم جزائري، وعين لها أساتذة آخرون وتوزّع عليهم المرتبات شهريا، وقد أخبرني بذلك السيد كليال (CLYEL) أثر مروره بالسنغال ولا يوجد أي شيء فيما يخص ذلك في الأرشيف، ولا أقصد الأرشيف التابع لي، لأنه غير موجود مطلقا، ولكن أقصد أرشيف مفتش التعليم الذي هو في حوزتي الآن. وسأطلب تقريرا على سير هذه المدرسة من مصالح السيد مفتش التعليم وأبعث إليكم بنسخة من هذا التقرير.

وقد ألاحظ في الأرشيف أن هناك مشروعا يقتضي بإنشاء مدرسة في توبا (فوته جالون بغينيا). ولا أحد هنا يعلم إذا كانت هذه المدرسة تمارس نشاطها أم لا؟

وقد أبعث لكم بادئ ذي بدء بنسخ مرقوقة بالآلة الكاتبة من الوثائق الهامة التي تخص هذه المدرسة الأخيرة، وعندما تتاح لي الفرصة سأذهب أنا شخصيا إلى غينيا، لأدرس هذا الموضوع بصفة جدية. يبدو لي أن فوته الغينية يسودها الإسلام، وقبائل الفلان التي تسكن المنطقة يتمسكون بكل قواهم بالديانة الإسلامية ولا قانون لهم سوى الشريعة المحمدية.

28 مارس 1913

ملحق رقم (4) :

جدول المرابطين المعلمين في المدارس بدكار[1]

الرقم	اسم المعلم	القبيلة	المذهب الديني	عدد التلاميذ	ذكور	إناث	المنتمون للمدارس الفرنسية
1	مومار أمدوم	وولوف	تيجاني	20	16	4	4
2	أمادو مختار ديوب	لوبو	=	15	10	3	=
3	أمادو خان	تكرور	=	74	70	4	5
4	حادي خان	= = =	=	45	36	9	=
5	فهدار ديوب	وولوف	=	23	177	6	4
6	ليرلو بيلاديا	تكرور	=	12	9	3	=
7	أمادو سعيد وخان	= = =	=	22	15	7	7
8	ديابي لوم	وولوف	=	24	21	3	4
9	أمادو لين دام	تكرور	=	10	10	=	=
10	قربيريل ديان	لوبو	=	32	18	4	3
11	عـان الدوي	= = =	=	58	48	15	5
12	نيبرنو بوميا صاك	تكرور	=	33	25	8	2
13	أبرن أندياي قاي	لوبو	=	28	277	1	4
14	إبراهيم قاي	= = =	=	45	40	5	3
15	بدول هيري	تكرور	=	29	24	=	2
16	ماليو سيـي	وولوف	=	4	4	=	=
17	أجاي ديول	لوبو	=	13	9	4	2
18	ماليو تان بدرجان	= = =	=	8	7	1	=
19	ميفا اندياي	= = =	=	45	45	=	=
20	ختار قاي	= = =	=	13	6	7	1
21	بوبكر باح	تكرور	=	20	18	2	=
22	جمار كوندي	وولوف	=	11	4	7	=
23	صدو ديوب	= = =	=	20	13	7	=
24	أدبو اندوي	لوبو	=	9	6	3	=
25	مادوم قاي	= = =	=	=	=	=	1
26	قوره لـو	وولوف	=	25	13	2	=
27	سليمان امباي	لوبو	=	8	6	2	=
28	ثمان صال	وولوف	قادري	6	5	1	=
29	تياوه كوناري	= = =	تيجاني	21	20	=	=
30	ساكان باي	لوبو	قادري	2	2	=	2
				672	545	127	127

(1) ARCHIVES: "S. O. M" Paris Dossier Senegal No 10.

ملحــق رقم (5) :

30 بطاقة شخصية[1]

1- مومار أمدوم :

الشخص الأول : وولوقي، أصلا من كوكي (ديولوف، دائرة لوقا) ولد في كوكى، عمره 40 سنة، قائم عند رئيس قرية الأهالى بدكار: الفاديول، عند زاوية شارعي، اسكلابيت ورفائيل.

الحالة العائلية: أعـــزب

الدراسة: القرآن، في مانيا قورل، الموجودة في ديامبور، مع مديانا ميانغ، وولوفى (7 سنوات)، وفى تاليمارا الموجودة فى مباكول (كايور) مع ماكيدو ديوب ((2) سنتان).

درس رسالة ابن أبي زيد، والأخضري، في كلخار، الموجودة في مباكول (كايور) مع الفقيه، كاتاديان وفي دكار، مع أخيه لين تيام.

يمارس مهنة التعليم في الكتاب منذ 15 سنة، بدكار، وذلك منذ أن كان طالبا، ثم مربيا لأطفال الفاديول، ومعلما في نفس الوقت لتلاميذ النواحي المجاورة.

اعتنق التيجانية على يد الفقيه مومارسيك، من تينابا (دكار) الذي اعتنق المذهب التيجاني عن أبيه، الذي اعتنقه بدوره على ممادوشيكو، الفلاني أصلا. وهو دائما تابع روحيا إلى شيخه.

لا يعرف الفرنسية، ولا العربية الدارجة (الحسانية) مستواه ضعيف باللغة العربية الفصحى. يعبر بصعوبة بهذه اللغة الأخيرة، ولا يستخلف أبدا إمام المسجد.

---

(1) ARCHIVES: "S. O. M" Paris Dossier Senegal No 10.

ملحـــق رقـم: (أ)

التعليـم الإسلامي[1]

التعليـــم الرسمـــي						المجمـوع	التعلـــيم الحـــــر					
مدرسة سان لويس				مصاريف التعليم			عدد المدارس	الطرق الصوفية التي ينتمي اليها معلم الكتاب				
الموظفـــون			التلاميذ	مدرسة سان لويس سنة 1618	التعليم العربي في المدارس الفرنسية							
اربيون	جزائريون	أهالي						مجموع	مجموع	مجموع	مجموع	مجموع
3	1	2	56	44.000	لاشيء	44.000	1.319	880	267	23	29	1319

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris- Dossier Senegal No 10.

ملحق رقم (8)

مستعمرة إفريقيا الغربية الفرنسية

جدول رقم 1

السنة : 1907

إحصائيات التعليم اليومي

تعليم في مدارس المعلمين والتقنية للأهالي الأفارقة[1][2]

الدائرة	الدائرة	التعليم الحر									التعليم الحر							
		عدد المدارس			عدد الأساتذة		عدد التلاميذ		عدد التلاميذ		عدد الأساتذة	عدد التلاميذ		المجموع العام		
		ذكور	إناث	م	رجال	نساء	ذكور	إناث	ذكور	إناث		ذكور	إناث	مدارس	أساتذة	تلاميذ
سان لويس	مستعمرة، تعليم اداري ومعلمين	1	"	"	10	"	35	"	مدرسة المعلمين لإبناء رؤساء القبائل		"	"	1	1	10	59
		5	"	"			24	"			"	"	"	1		24
دكار	تعليم تقني	1	"	"	3	"	30	"	"	"	"	"	"	1	3	30
المجموع		2			13		89							1	13	89

(1) تعليم تقني، أو فلاحي أو تجاري أو مدارس معلمين وإداريين.

(2) مختص بالتلاميذ الفرنسيين أو المدمجين أمن الأهالي.

المستعمرة السنغــال

إحصائيات التعليم العمومي

السنة : 1907

جدول رقم : 3

مدارس يلحق بها تلاميذ من كل الجنسيات	عدد المدارس			عــدد الأساتذة				عــدد التلاميــذ		ميزانية المستعمرات إدارية مباشرة وحماية	ميزانية البلدية	مصاريف إجمالية
				اللاتنيــون		الآباء البيض						
	ذ	أ	م	رجال	نساء	رجال	نساء	ذكور	إناث			
حضانة	=	=	=	=	=	=	=	=	=	=	=	=
ابتدائية	27	4	1	أر 25 أم 40	27 أم 2			3.196	415	307.236	14.500	321.736
ابتدائية عالية	1			أر 9				56		54.430		54.430
ثانوية	1			أر 1				4		مدمجة في مصاريف المدرسة الابتدائية العليا		
تقنية	3	4		أر 3				46		1400		1400
عائلية				أر 4					62	3.100		3.100
فلاحية	1			أر 1				8		8.000		8.000
كـــرر			1	أر 1				18		200		200
مدرســة المعلمين ـ مدرســة المعلمين لإفريقيا الغربيــة غير ملحقة بالســنغال												
الإدارية	1			أر 2				14		مدمجة في مصاريف المدرسة الابتدائية العليا		
تجارية	1	4		أر 1				12		==	==	=
الدروس	10			أر 18	أر 5			1.293		16.200		16.200
المسائية				أر 5								
المجموع	29		1	أر 25 أم 40	أر 25 أم 40			4.553	477	390.566	14.500	405.060

ملحق رقم (10)
مستعمرة السنغال
جدول رقم 2

إحصائيات التعليم اليومي[1]
تعليم اللغة العربية والقرآن للتلاميذ السنغاليين

السنة : 1907

الدائرة	مستعمرة أو بلدية	التعليم الحر								التعليم الحر									
		عدد المدارس			عدد الأساتذة		عدد التلاميذ		عدد التلاميذ		عدد الأساتذة	عدد التلاميذ			المجموع العام		
		ذكور	إناث	م	رجال	نساء	ذكور	إناث	ذكور	إناث		ذكور	إناث	المجموع	مدارس	أساتذة	تلاميذ
سان لويس	مستعمرة	5			2		75		46		46	1.396	190	1486	51	48	1561
دكار	،،	1			1		26		27		27	415	12	427	28	28	453
قوري	،،	-	-	-	-	-	2	-	2		2	34	0	44	2	2	44
ديفيسيك	،،	1			1		47		20		20	519	31	550	21	21	597
أسكال	،،	3			3		162		34		34	405	4	409	37	37	571
المناطق المحمية	،،	-	-	-	-	-	-	-	1262		1262	8204	293	8487	1262	1262	8487
المجموع		10			7		310		1391		1391		510	11403	1401	8931	3171

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris- Dossier Senegal No 10.

ملحق رقم (11)
مستعمرة السنغال
جدول رقم 2

إحصائيات التعليم اليومي
التعليم الابتدائي للأهالي الكبار[1]

الدائرة	مستعمرة أو بلدية	التعليم الحر							التعليم الحر								
		عدد المدارس			عدد الأساتذة		عدد التلاميذ		عدد التلاميذ		عدد الأساتذة	عدد التلاميذ			المجموع العام		
		ذكور	إناث	م	رجال	نساء	ذكور	إناث	ذكور	إناث		ذكور	إناث	المجموع	مدارس	أساتذة	تلاميذ
سان لويس	مستعمرة	4			13	2	599								4	15	599
دكار	،،	1			3	2	176								1	5	176
قوري	،،	1			2		93								1	2	93
ديبك	،،	1			2	1	235								1	3	235
نقاشور	،،	1			1		75								1	1	75
يديو	،،	1			1		35								1	1	35
فانة	،،	1			1		80								1	1	80
مجموع	،،	16			23	5	1293								10	28	1293

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris- Dossier Senegal No 10.

ملحـــق رقـم: (12)

التعليم الإسلامي[1]

المستعمرة	التعليم الرسمي						المجموع	التعليم الحر							
	مدرسة سان لويس				مصاريف التعليم			عدد المدارس	الطرق الصوفية التي ينتمي إليها معلم الكتاب					المجموع العام للتلاميذ
	الموظفون			التلاميذ	مدرسة سان لويس سنة 1618	التعليم العربي في المدارس الفرنسية								
	اريبيون	جزائريون	أهالي						مجموع	مجموع	مجموع	مجموع	مجموع	
السنغال	3	1	2	56	44.000	لاشيء	44.000	1.319	880	267	23	49	1319	8.830

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris- Dossier Senegal No 10.

ملحق رقم (11)
مستعمرة السنغال
جدول رقم 2

إحصائيات التعليم اليومي
التعليم الابتدائي للأهالي الكبار(1)

الدائرة	مستعمرة أو بلدية	التعليم الحر							التعليم الحر									
		عدد المدارس			عدد الأساتذة		عدد التلاميذ		عدد التلاميذ		عدد الأساتذة	عدد التلاميذ			المجموع العام		
		ذكور	إناث	م	رجال	نساء	ذكور	إناث	ذكور	إناث		ذكور	إناث	المجموع	مدارس	أساتذة	تلاميذ
وبداح	"	"	"	"	"	"	"	"	2	"	2	15	"	15	2	2	15
كيتو	"	"	"	"	"	"	"	"	1	"	1	6	"	6	1	1	6
أقوني	"	"	"	"	"	"	"	"	2	"	2	14	"	14	1	2	14
براكر وتواجيها	"	"	"	"	"	"	"	"	23	"	23	191	38	229	20	23	229
نيكي ز	"	"	"	"	"	"	"	"	25	"	25	300	12	312	23	25	312
دجوقو	"	"	"	"	"	"	"	"	8	"	8	86	"	86	6	8	86
أتولو	"	"	"	"	"	"	"	"	10	"	10	96	"	96	8	10	96
بارابى	"	"	"	"	"	"	"	"	9	"	9	98	"	98	9	9	98
كوانلة	"	"	"	"	"	"	"	"	5	"	5	52	"	52	4	5	52
مورتوهوفو	"	"	"	"	"	"	"	"	25	"	25	200	"	200	20	25	200
النيجر الاوسلا	"	"	"	"	"	"	"	"	45	"	45	450	"	450	40	45	450
المجموع	"	"	"	"	"	"	"	"	155	"	155	1508	50	1508	134	155	1508

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris- Dossier Senegal No 10.

وزارة التعليم العمومي
والفنون الجميلة
مديرية التعليم الابتدائي
المكتب الثالث

ملحق رقم : 14

وضعية التعليم الابتدائي في المستعمرة الفرنسية بالداهومي في نهاية السنة الدراسية 1907/1906[1]

اسم البلديات أو المواقع التي تقع بها المدارس	المدارس الحكومية								المدارس الحرة								المجموع									
	عدد المدارس			عدد الأساتذة			عدد التلاميذ		عدد المدارس			عدد الأساتذة			عدد التلاميذ		عدد المدارس				عدد الأساتذة			عدد التلاميذ	
	بنين	بنات	مختلطة	معلمون	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	معلمون	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	المجموع	معلمون	معلمات	المجموع	بنين	بنات
بورتوهوفوبنات	2	1	-	9	2	11	225	05	1	1	10	21	6	27	850	325	3	2	10	1	30	8	38	1075	430
دوقه											1	1		1	40	6			1	1	1		1	40	6
أكباه											1	1		1	50	11			1	1	1		1	50	11
أدجاره											1	1		1	20	12			1	1	1		1	20	12
أدجوهان											1	1		1	30	10			1	1	1		1	30	10
كوتونو / بنات				4			153		1		1	5		5	160	21	1		1	2	5		5	60	21
/ بنات				41		1	100		7			9	5	14	334	190	8			9	19	5	19	525	49
قواندبويو / بنات									2			4		4	166		3			3	5		5	266	
أقيمي									1			2		2	74		1			1	2		2	74	
أقويمي									2	1		3	3	6	150	50	2	1		3	3	3	6	150	50
لوكوس			1	2		2		7	2			1		1	30		1			1	1		1	30	
أكومي / بنات			1	2		2	80	12	2			4		4	39		2	1		3	6		6	119	7
بنقل	4	1	1	16	2	18	597		17	3	15	54	14	65	943	614	21	4	16	41	71	16	87	1639	595

(1) ARCHIVES : S.O.N. Paris - Dossier SENECAL N• IO

وزارة التعليم العمومي
والفنون الجميلة
مديرية التعليم الابتدائي
المكتب الثالث

ملحق رقم : 14 مكرر

الداهومي (تابــــع)

اسم البلديات أو المواقع التي تقع بها المدارس	المدارس الحكومية								المدارس الحرة								المجموع								
	عدد المدارس			عدد الأساتذة			عدد التلاميذ		عدد المدارس			عدد الأساتذة			عدد التلاميذ		عدد المدارس				عدد الأساتذة			عدد التلاميذ	
	بنين	بنات	مختلطة	معلمين	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	معلمين	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	المجموع	معلمين	معلمات	المجموع	بنين	بنات
عدد المنقول	4	1		16	2	18	597	112	23	3	49	94	14	08	2379	712	27	4	50	81	110	16	26	2967	
وقو وأنقاره									16			23		23	107		16			16	23		23	107	
أندو									1			3		3	25		1			1	3		3	25	
نويري									1			1		1	4		1			1	1		1	4	
سميري									1			1		1	24		1			1	1		1	24	
البدحو									1			1		1	7		1			1	1		1	5	
المجموع									43	3	49	123	14	137	2,546	712	174	4	50	101	39	16	51	3143	

حفف في فوتوهوفو ، يوم 2 جويلية 1908
الكاتب العام
إمضاء :
نظر : الحاكم بي (   )

وزارة التعليم العمومي
والفنون الجميلة
مديرية التعليم الابتدائي
المكتب الثالث

ملحق رقم : 15

وضعية التعليم الابتدائي في المستعمرة الفرنسية بغينيا في نهاية السنة الدراسية 1906/1907 (1)

اسم البلديات أو المواقع التي تقع بها المدارس	المدارس الحكومية								المدارس الحرة								المجموع								
	عدد المدارس			عدد الأساتذة			عدد التلاميذ		عدد المدارس			عدد الأساتذة			عدد التلاميذ		عدد المدارس				عدد الأساتذة			عدد التلاميذ	
	بنين	بنات	مختلطة	معلمين	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	معلمين	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	المجموع	معلمين	معلمات	المجموع	بنين	بنات
كوناكري	13	1	1	5	4	9	215	61	1	1	-	1	1	2	25	45	4	2	1	7	6	5	11	240	10
بوقي		1	-	1	1	2	122	34	1	-	-	1	-	1	10	-	2	1	-	3	2	1	3	132	3
فاريرياح	1	-	-	1	-	1	40	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1	-	-	1	1	4	2	40	-
كريديا	1	1	-	1	1	2	101	22	-	-	-	-	-	-	-	-	1	1	-	2	1	1	2	111	22
بـوفا	1	-	-	-	-	-	-	-	1	-	-	2	-	2	42	-	1	-	-	1	2	-	1	452	-
فوتوبا	-	-	-	1	-	1	50	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1	-	-	1	1	-	1	50	-
أميو	1	-	-	1	-	1	60	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1	-	-	1	1	-	1	60	
ديتبوم	1	-	-	1	-	1	70	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1	-	-	1	1	-	1	70	-
لابي	1	-	-	1	-	1	76	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1	-	-	1	1	-	-	78	-
بون كاك ون	1	-	-	1	-	1	12	-		-	-			-	-	-	1	-	-	1	1	-	1	12	-
بانقراي	1	-	-	1	-	1	66	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1	-	-	1	1	-	1	66	-
لقـيري	1	-	-	1	-	1	88	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1	-	-	1	1	1	1	88	-
ينقل....	13	3	1	15	6	21	912	117	3	1	-	4	1	5	77	45	16	4	1	21	9	7	26	990	162

(1) ARCHIVES : S.O.N. Paris - Dossier SENECAL N•IO

وزارة التعليم العمومي
والفنون الجميلة
مديرية التعليم الإبتدائي
المكتب الثالث

غينيا (تابع)

ملحق رقم : 15 مكرر

اسم البلديات أو المواقع التي تقع بها المدارس	المدارس الحكومية								المدارس الحرة								المجموع								
	عدد المدارس			عدد الأساتذة			عدد التلاميذ		عدد المدارس			عدد الأساتذة			عدد التلاميذ		عدد المدارس				عدد الأساتذة			عدد التلاميذ	
	بنين	بنات	مختلطة	معلمون	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	معلمون	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	المجموع	معلمون	معلمات	المجموع	بنين	بنات
العدد المنقول	12	3	1	15	6	21	912	117	3	1	-	4	1	5	77	45	16	4	1	2	19	7	26	990	62
كورانا	1	1	.	1	1	2	72	44									1	1	-	2	1	1	2	72	44
كنكن	.		1	1	.	1	112	21									-	-	1	1	1	-	1	112	21
بيلا	.		.	1	-	1	25	-									1	-		1	1	-	1	25	.
سمباروبارا	.	.	-	1	-	1	25	-									1	-		1	1	-	1	25	.
كيس دانقو	-	-	-	1	-	1	15	-									1	-		1	1	.	1	15	-
برو ادو	-	-	-	-	-	-	-	-	1	.	-	1		1			1	-		1	1	.	1	5	-
فرناح	-	-	-	1	-	1	45	-			.						1	-		1	1	-	1	45	-
ملحوظة :	هناك 15 ممرناً وممرنةً في مدارس غينيا الفرنسية من الأهالي ، زيادة على 34 معلما الذين أحصوا في هذه الوثيقة																								
المجموع	13	4	2	21	7	28	1206	182	4	1	-	5	1	6	82	45	22	5	2	29	26	8	34	1288	127

وزارة التعليم العمومي
والفنون الجميلة
مديرية التعليم الابتدائي
المكتب الثالث

غينــــيا (تابـــع)

ملحق رقم : 15 مكرر

اسم البلديات أو المواقع التي تقع بها المدارس	المدارس الحكومية								المدارس الحرة								المجموع								
	عدد المدارس			عدد الأساتذة			عدد التلاميذ		عدد المدارس			عدد الأساتذة			عدد التلاميذ		عدد المدارس				عدد الأساتذة			عدد التلاميذ	
	بنين	بنات	مختلطة	معلمين	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	معلمين	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	المجموع	معلمين	معلمات	المجموع	بنين	بنات
العدد المنقول	13	3	1	15	6	21	912	117	3	1	-	4	1	5	77	45	16	4	1	2	19	7	26	990	62
كوراتـا	1	1	-	1	1	2	72	44									1	1	-	2	1	1	2	72	44
كتكن	-	-	1	1	-	1	112	21									-	-	1	1	1	-	1	112	21
بيلا	1	-	-	1	-	1	25	-									1	-		1	1	-	1	25	-
سمبارويارا	1	-	-	1	-	1	25	-									1	-		1	1	-	1	25	-
كيس دانقو	1	-	-	1	-	1	15	-									1	-		1	1	-	1	15	-
برواد	-	-	-	-	-	-	-	-	1	-	-	1		1			1			1	1	-	1	5	-
فرناح	1	1	-	1	-	1	45	-			-						1	-		1	1	-	1	45	-
ملحوظــــة :	هناك 15 معلماً ومعلمةً في مدارس غينيا الفرنسية من الأهالي ، زيادة على 34 معلما الذين أحصوا في هذه الوثيقة																								
المجموع	18	4	2	21	7	28	1206	182	4	1	-	5	1	6	82	45	22	5	2	29	26	8	34	1288	127

وزارة التعليم العمومي
والفنون الجميلة
مديرية التعليم الابتدائي
المكتب الثالث

ملحق رقم : 16

وضعية التعليم الابتدائي في المستعمرة الفرنسية بساحل العاج في نهاية السنة الدراسية 1907/1906(1)

اسم البلديات أو المواقع التي تقع بها المدارس	المدارس الحكومية								المدارس الحرة								المجموع								
	عدد المدارس			عدد الأساتذة			عدد التلاميذ		عدد المدارس			عدد الأساتذة			عدد التلاميذ		عدد المدارس				عدد الأساتذة			عدد التلاميذ	
	بنين	بنات	مختلطة	معلمين	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	معلمين	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	المجموع	معلمين	معلمات	المجموع	بنين	بنات
أبدجان	1	-	-	1	1	2	25	-									1	-	-	1	1	1	2	25	-
أبواسو	1	-	-	2	-	2	62	-									1	-	-	1	2	-	2	62	-
لاهو الكبير	1	-	-	1	-	1	48	-									1	-	-	1	1	-	1	48	-
تـابو	1	-	-	1		1	16	-									1	-	-	1	1	-	1	16	-
بنـدوكو	1	-	-	1		1	32	-									1	-	-	1	1	-	1	32	-
كوروهوقو	1	-	-	1	-	1	22	-									1	-	-	1	1	-	1	22	-
أوديني	1	-	-	1	-	1	40	-									1	-	-	1	1	-	1	40	-
سـاسـاندرا	1	-	-	1	-	1	30	-									1	-	-	1	1	-	1	30	-
ميوهيا كرو	1	-	-	1	-	1	10	-									1	-	-	1	1		1	10	-
يـومي	1	-	-	1	-	1	15	-									1	-	-	1	1	-	1	15	-
بواتو	1	-	-	1	-	1	15	-									1	-	-	1	1	-	1	15	-
ينقل....	11	-	-	12	-	13	315	-									11		-	11	12	1	13	315	-

(1) ARCHIVES : S.O.N. Paris - Dossier SENECAL N• IO

وزارة التعليم العمومي
والفنون الجميلة
مديرية التعليم الابتدائي
المكتب الثالث

ســـاحـــل العـــــاج (تابــــع)

ملحق رقم : 16 مكرر 2

اسم البلديات أو المواقع التي تقع بها المدارس	المدارس الحكومية: عدد المدارس			المدارس الحكومية: عدد الأساتذة			المدارس الحكومية: عدد التلاميذ		المدارس الحرة: عدد المدارس			المدارس الحرة: عدد الأساتذة			المدارس الحرة: عدد التلاميذ		المجموع: عدد المدارس				المجموع: عدد الأساتذة			المجموع: عدد التلاميذ	
	بنين	بنات	مختلطة	معلمون	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	معلمون	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	المجموع	معلمون	معلمات	المجموع	بنين	بنات
العدد المنقول	11	-	-	12	1	13	315	-		-	-	-	-	-	-	-	11	-	-	1	12	1	13	315	-
بونزي		-	-	1		1	15										1	-	-	1	1	-	1	15	-
كود يوكوفي	1	-	-	1	-	1	14										1	-	-	1	1	-	1	14	-
نوكمبو	1	-	-	1	-	1	7										1	-	-	1	1	-	1	7	-
أوسوكرو	1	-	-	1	-	1	7										1	-	-	1	1	-	1	7	-
سيكاسو	1	-	-	1	-	1	10										1	-	-	1	1	-	1	10	-
تياسالي	1	-	-	1	-	1	8										1	-	-	1	1	-	1	8	-
تيـو	1			1	-	1	12										1	-	-	1	1	-	1	12	-
نومود	1	-	-	1	-	1	15										1	-	-	1	1	-	1	15	-
بومي	1	-	-	1	-	1	10										1	-	-	1	1	-	1	10	-
اميكاسو	1	-	-	1	-	1	5										1	-	-	1	1	-	1	5	-
أتراكرورو	1	-	-	1	-	1	15										1	-	-	1	1	-	1	15	-
دناني	1	-	-	1	-	1	20										1	-	-	1	1	-	1	2	-
سيقيلا	1	-	-	1	-	1	18										1	-	-	1	1	-	1	18	-
ينقل	24	-	-	25	1	26	471										24	-	-	24	25	1	26	471	-

وزارة التعليم العمومي
والفنون الجميلة
مديرية التعليم الابتدائي
المكتب الثالث

ســاحــل العـــاج (تابـــع)

ملحق رقم : 16 مكرر 2

اسم البلديات أو المواقع التى تقع بها المدارس	المدارس الحكومية								المدارس الحرة								المجموع								
	عدد المدارس			عدد الأساتذة			عدد التلاميذ		عدد المدارس			عدد الأساتذة			عدد التلاميذ		عدد المدارس				عدد الأساتذة			عدد التلاميذ	
	بنين	بنات	مختلطة	معلمين	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	معلمين	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	المجموع	معلمين	معلمات	المجموع	بنين	بنات
العدد المنقول	24	-	-	25	1	26	471	-	-	-	-	-	-	-	-		24	-	-	24	25	1	26	471	-
قديكو		-	-	1	-	1	17	-	4	-	-	-	-	-	-	-	1	-	-	1	1	-	1	17	-
آسيا	1	-	-	1	-	1	8	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1	-	-	1	1	-	1	8	-
ميري	1	-	-	1	-	1	17	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1	-	-	1	1	-	1	17	-
دابون	1	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	4	-	4	12	-	4	-	-	4	4	-	4	120	-
جاكتين	-	-	-	-	-	-	-	-	1	-	-	1	-	1	6	-	1	-	-	1	1	-	1	62	-
بقوا	-	-	-	-	-	-	-	-	1	-	-	1	-	1	1	-	1	-	-	1	1	-	1	9	-
متق	-	-	-	-	-	-	-	-	1	-	-	1	-	1	2	-	1	-	-	1	-	-	1	20	-
بلوم	-	-	-	-	-	-	-	-	1	-	-	1	-	1	25	-	1	-	-	1	1	-	1	25	-
المجموع	27	-	-	28	1	29	519	-	8	-	-	8	-	8	29	-	35	-	-	35	36	1	37	749	-

المصادر والمراجع

أ ـ المخطوطات:

* ARCHIVES de L'EX-Ministère des affaires Etrangères de L'Afrique Occidentale française:
* Dossier A - O - F - No 10.
* Dossier Côte d' lvoire No 10.
* Dossier DAHONEY No 10.
* Dossier GUINEE No 10.
* Dossier SENEGAL No 10.
* Dossier SENEGAL No 10.

ب ـ المصادر المطبوعة :

1- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله، مالانيس المطرب بروض القرطاسي في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط: دار المنصور للطباعة والنشر، 1973.

2- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، صورة الأرض، ط 2، بيروت: مكتبة الحياة ـ بدون تاريخ.

3- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط 2، بيروت: دار الكتاب اللبناني 1961، ج الأول ـ السادس (اعتمد كذلك على طبعة 1979).

4- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، رحلة ابن بطوطة، بيروت: 1964 (اعتمد كذلك على طبعة بيروت دار صادر بدون تاريخ).

5- البكري، أبو عبد الله، المغرب من ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، بغداد: مكتبة المثنى: 1857.

6 - البكري، أبو عبد الله، معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع، القاهرة: 1947، ج 4.

7- الإدريسي، محمد بن عبد العزيز الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بدون تاريخ ودار نشر.

8- الهمداني، أبو بكر أحمد بن محمد، كتاب البلدان نشره ذو ثموية: 1880.

9- الوزارن، الحسن بن محمد، وصف إفريقيا: ط: 2، ترجمة: محمد ومحمد الأخضر، بيروت ـ الرباط: دار الغرب الإسلامي والشركة المغربية للتأليف المتحدين: 1983م.

10- اليعقوبي، أحمد، وصف إفريقيا الشمالية، الجزائر: مكتبة الدروس العليا الإسلامية: 1960.

11- كعت، محمود، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، بدون تاريخ (اعتمد كذلك على النسخة طبعة 1964).

12- المكي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان عفيف الدين اليافعي اليمني، مرآة الجنان وعبرة اليقظان من معرفة ما يعير من حوادث الزمان، نشر: حيدر أباد: 1331هـ.

13- السعدي، ابن عبد الله عمران، تاريخ السودان، انجي، مطبعة يردين: 1898 (اعتمد كذلك على طبعة 1964م).

14- القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى، القاهرة: دار الكتب: 1918 (اعتمد كذلك على نسخة القاهرة 1964م)، ج5.

15- القيرواني، ابن أبي زيد، رسالة ابن أبي زيد القيرواني على المذهب المالكي، القاهرة: (بدون عمل الطبع) 1323هـ. المسعودي: مروج الذهب.

16- التونسي، محمد بن عمر، تشهيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل عاكر ومصطفى محمد سعيد، مراجعة مصطفى زيادة، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر: 1965م.

17- الخضري، محمد، أصول الفقه، ط 2 ، القاهرة: 1962م.

المراجـــع

1- أبو زهرة: محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة: 1976.

2- أرنولد: توماس، الدعوة إلى الإسلام، ط: 3، ترجمة حسين إبراهيم حسن عبد المجيد عابدين، القاهرة: دار مكتبة النهضة المصرية 1970م.

3- إبراهيم محمد عبد الفتاح، إفريقيا من السنغال إلى نهر جوبا، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية: 1961م.

4- أحمد، يحيى محمد محمد، ابن الأمين الشنقيطي وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية والأدبية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العربية، جامع الفاتح، طرابلس: 1984.

5- استودارد لوثروب، حاضر العالم الإسلامي نقله إلى العربية عجاج نويهض، ط 3، دار الفكر: 1971م، المجلد الأول.

6- الألوري، آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، بيروت: دار مكتبة الحياة 1965.

7- أنور الجندي، الإسلام والثقافة العربية في مواجهة تحديات الاستعمار وشباب التغريب، القاهرة: بدون تاريخ.

8- بدوي عبده، وضع حركة الإسلام في إفريقيا.

9- بصلي، عبد الجليل الشاطر، معالم تاريخ السودان ووادي النيل: 1970.

10- بوفيل تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ط 2، نقله إلى العربية الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، بنغازي ـ جامعة قار يونس: 1988م.

11- دافنسون، بازل، إفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال م. أحمد، بيروت: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع: بدون تاريخ.

12- دستان، هوبير، الديانات في إفريقيا السودان، ترجمة أحمد صادق حمدي، مراجعة محمد عبد الله دراز، القاهرة، دار الكتاب المصري: 1956.

13- هلال، عمار، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا، الجزائر: 1988م.

14- زكريا جمال، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، مطبعة الجبلاولي: 1964م.

15- زكي، أحمد، ثورة الإسلام، بيروت: مكتبة الحياة، بدون تاريخ.

16- زكي، عبد الرحمن، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة 1964م.

17- زبادية، عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الأسبقين، الجزائر: 1971م.

18- زبادية، عبد القادر، أسئلة آسكيا وأجوبة المغيلي، الجزائر: 1974.

19- الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط 2: بدون تاريخ، 32.

20- حسن، حسن ابراهيم، الإسلام في القارة الإفريقية، القاهرة: 1963.

21- حسين، عبد الله، السودان من التاريخ القديم إلى البعثة المصرية، القاهرة: 1935م.

22- حشيمة، عبد الله، في إفريقيا السوداء، بيروت، المطبعة الكاثوليكية: 1962.

23- الحابي، محمد سعيد، التبشير، القاهرة: 1931م.

24- محمود، عبد القادر، الفكر الصوفي في السودان، بلا مكان الطبع 1969/68.

25- محمود، حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، القاهرة، دار الفكر العربي: 1986.

26- سرور، طه عبد الباقي، شخصيات صوفية، القاهرة: 1948م.

27- قداح، نعيم، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة عمر الحكيم، كوناكري: 1970.

28- الشبال، جمال الدين، محاضرات في الحركات الإسلامية ومراكز الثقافة في الإسلام الحديث، القاهرة: 1958م.

29- شبيكة، مكي، السودان عبر القرون، بيروت: 1956م.

30- الخولي، أمين، المجددون في الإسلام، القاهرة: 1965.

1- Actualité de l'Afrique noire N 1 - Janvier - 1957.

2- Actualité de l'Afrique noire N 5 - Mai - 1957.

3- Actualité de l'Afrique noire N 6 - Juin - 1957.

4- Actualité de l'Afrique noire, Avril 1957

5- Revue Archeologidue de la Province de Cne - 1853 - 1854.

6- Afrique et Asie : 2 Tr. Avril - Juin 1957.

7- Afrique et Asie : 1 Tr. Janvier - Mars 1948.

8- Afrique et Asie : 2 Tr. Avril - Juin 1948.

9- Afrique et Asie : 2 4 - Année 1953.

10- Afrique et Asie : N 23 - Annèe 1953.

11- Afrique et Asie : 1 Tr. Janvier - fars 1950 N°41 à 44.

12- Afrique et Asie : N 10 Annèe 1950.

ج/ الصحف :

- Le Aonde : 17 Jiun 1960.

- Le Acnde : 15 Jiun 1960.

4- المراجع الأجنبية:

- **ABDOULAZIZ DIALO SERIE** de conferences relatione aux relations - entre le mali le maliat monde Islamigue du mayen age

le centre cultural Islamique Bamako - mali parite L'Empire du Ghana Aout 1980 P. 1

- **ABENSOUR Léon** : La France Noire, se peuples, sonhistoire ses richesses- paris, 1931.
- **ARNNAUD R.** : L'Islam et la Politique Husulmane Francaise- Paris - Janvier 1912.
- **ARNAUD RI** : Préete de la Politique inisulamne - Alger - Jourdan - 1906.
- **G. BRASSEUR** L'A.O.F. I.F.A.H. D 1957.
- **J. BOUCHAUD** : L'Eglise en Afrique Noire - Paris - 1958.
- **A. BERNARD** : Sahara en Afrique Occidentale - Paris - 1939.
- **I.M. BRUNES** : Le Général Faidherbe- Paris- 1890.
- **L. BERTRAND** : Notre Afrique : Paris - 1925.
- **R. BRUNNEL** : Bassai sur les conféries religieuses des Aissoua au Maroc - Paris - 1926.

المجلات العربية :

1) مجلة التضامن الإسلامي : عدد أكتوبر 1957.
2) مجلة الأصالة: العدد 44/42 فبراير - 1 مايو 1977.
3) مجلة البحوث التاريخية: ع 2 س 2 1980م.

المجلات الأجنبية :

1) Actualité de l'Afrique Noire N° 1 - Janvier - 1957.
2) Actualité de l'Afrique Noire N° 5 - Mai - 1957.
3) Actualité de l'Afrique Noire N° 6 - Juin - 1957.

- **R. BRUNNEL** : Le Monarchisme errart dans l'Islam PARIS 1955.
- **D. BOUCHE** : L'Enseignement dans les Terificories Français de l'A.O.F (Thése) - Lille - 1975
- **F. BERAUD - VILLARDS** : L'Islam d'hier et de toujours - Paris - 1969.
- **R. CORENEVIN** : Histoirede l'Afrique T.II. III. Paris 1975.
- **R CORNEVIN** : L'Afrique Noire de 1919 à Nos Jours Paris 1973.
- **J. CUOQ** : Les Musulmans en Afrique Paris 1975.
- **CASTRIES (Conte Henri de)** : L'Islam impressions et études PAR. 1908.
- **M. CARDAIRE** : L'Islam et la cellule sociale Africaine Paris 1955.
- **M. CARDAIRE** : L'Islam et le Territoir Africain BAMAKO 1954.
- **CARDAIRE Cp.**: Contribution à l'Etude de L'Islam Noir PAR. 1954.
- **CHAILEY M.** : Histoire de l'A.O.F. Paris 1968.
- **R. CAPOT - REY** : Le Sahara Français - Paris 1953.
- **M. DELAFOSSE** : Traditions Historiques et légendaires du Soudan Occidental Paris 1953.
- **M. DELAFOSSE** : Les Frontièresde la côte d'Ivoire et de la côte d'Or et du Soudan PARIS - Masson - 1908.
- **R. DELAVIGNETTS** : L'A.O.F. Paris 1931.
- **R. DELAVIGNETTE** : Fiadherbe Paris 1946.
- **R. DELAVIGNETTE** : Sce Africain Paris 1946.
- **H. DESCHAMPS** : SENEGAL et la GAMBIE Pari 1968.
- **H. DESCHAMPS** : Histoire des Explorations Paris 1968.
- **H. DESCHMAPS** : Histoire de L'A.O.F. 1638-1959 aris 1968.
- **DIOp Cheikh Anta** : L'Unite culturelle de l'Afrique Noire PAR. 1955.

- **DIOP. Anta** : Nations Nègre et Culture Paris 1955.
- **Duppont et Cappolani :** Les Conféries religieuses d'Agérie JOURDAN - ALGER 1897.
- **FROELIGH (J.C.) :** Les Musulmans de L'Af. Noire Paris 1962.
- **G. Hardy** : Une Conquêtte Morale l'Enseignement en A.O.F. Paris 1917.
- **G. HARDY :** L'Enseignement au SENEGAL (1817-1854) Thèse Paris 1920.
- **G. HARDY** : L'Enseignement aux indigènes dans la possions française d'Afrique - Bruxelles 1931.
- **J. GAUCHER :** Les débuts de l'Enseignement en Af. Francopho. Paris 1968.
- **A. GOUILLY :** L'Islam en A.O.F. Paris 1952.
- **E.F. GAUTIER :** LAfrique Noire Française Paris 1935.
- **KOMOSKI (P.K.)** : Enseignement programmé en A.O. F. Paris 1965.
- **Léon l'Af. Jean :** Description de l'Afrique Tière Partie du Monde Paris Leroux 1896.
- **J. L. MONTEZER :** L'Afrique et l'Islam DAKAR 1939.
- **P. MARTY :** Etudes sur l'Islam des tribus maures Paris 1912.
- **L. MASSIGNON :** Annuaire du Monde Musulman Paris 1955.
- **Max MEYROF :** Le Monde Islamique Paris 1926.
- **V. MONTEUIL :** L'Islam Noir Paris 1954.
- **CH. MONTESUIL :** Une Cité Soudanaise DJENNE Paris 1951.
- **MAUNY R. :** Les Siècles obscures de l'Afrique Noire Paris 1970.
- **J. P. ROUX :** L'Islam en Occident Paris Payot 1959.
- **R. RANDAU :** L'Islam et la Politique Musulamne Française en A.O.F. Paris 1912.

- **R. RANDAU** : Précis de la Politigue Musulmane ALGER 1906.
- **L. RINN** : Marabouts et Akhouans Alger 1884.
- **J. M. SEDES** : Histoire des Missions Française Paris 1950.
- **SICARS J.** : Le Monde Musulman dans les Possession française E. Larose Paris 1928.
- **SEKENE - DODY** : Histoire de l'A.O.F. Paris 1961.
- **J. SURET - CANALE** : L'Afrique Noire Occidentale et Centrale T. II l'ère coloniale 1900-1945 - Paris - 1964.
- **SURET CANALE J.** : Af. Noire Occi. et Orientale Paris 1913.
- **TOYNBEE Ar.** : L'Histoire Bruxelxes 1975.
- **M. VIOLETTE** : A.O.F. Paris CHALIAMEL 1913.

* * *

المحتويـات

إهـداء 7
مقدمة 9
الفصل الأول 13-58
تطور لغة القرآن الكريم في غرب إفريقيا
1- مكانة اللغة العربية في السودان الغربي 15
2- انتشار اللغة العربية في السودان الغربي 21
3- مكانة التعليم العربى في بعض مناطق غرب إفريقيا: 24
- الكتاتيب القرآنية 24
- تأثير ثقافة الإسلام في الثقافة المحلية 28
4- التعليم القرآني ودوره في المحافظة على الدين والثقافة العربية الإسلامية فى غرب إفريقيا 29
5- المعلمون ومكانتهم الاجتماعية والثقافية 36
6- التعليم العربي الحر ودوره في دعم الدين والثقافة العربية فى غرب إفريقيا 42
7- برامج التعليم التقليدي ومراحله 44
8- تطور اللغة العربية في غرب إفريقيا الغربية سنتى 1907-1909 47
الفصل الثاني 59-87
تطور لغة القرآن الكريم في غرب إفريقيا
1- التعليم العربي والإدارة الفرنسية 61
2- موقف الكنيسة من الإسلام ولغته 63
3- سياسة الإدارة الفرنسية إزاء اللغة العربية 64

4- نظرة الكتاب الفرنسيين للإسلام ولغته 66

الفصل الثالث 87-69

التبشير الحديث في إفريقيا

1- أهداف التبشير ووسائله 71

2- البعثات التبشيرية والتعليم 74

3- التبشير والعائلة الإفريقية 76

4- نتائج التبشير 77

5- التقاء التبشير بالاستعمار 79

الفصل الرابع 108-89

مواقف الإدارة الفرنسية من لغة القرآن الكريم

1- اللغة العربية وتعليم اللغة الفرنسية 98

2- كساد التعليم الفرنسي واتخاذ اللغة العربية وسيلة لإصلاحه 100

3- فشل محاولات خنق اللغة العربية 104

الفصل الخامس 124-109

كيف استطاع الاستعمار الفرنسي أن يكّون نخبة إفريقية موالية له فكرا وثقافة ودينا ولغة؟!

1- المعاهد الفرنسية الإسلامية 111

2- مدرسة أبناء رؤساء القبائل والمترجمين 114

3- التعليم الفرنسي في نهاية سنة 1917 118

4- التعليم الفرنسي للكبار 120

5- تعليم البنات 122

* * *